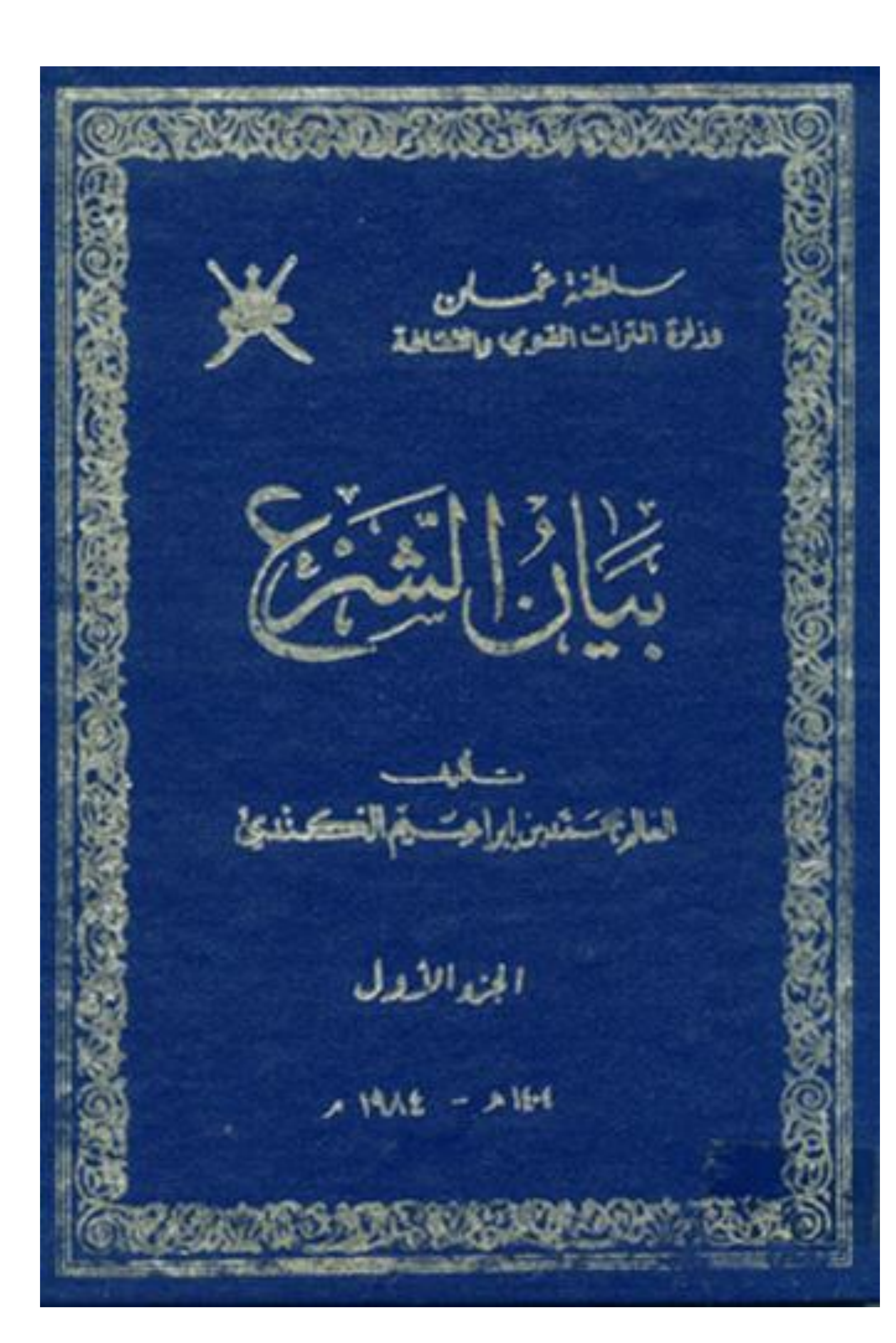


سلطنة عمان
وزارة التراث القومي والثقافة
بيان الشرع
تأليف
العالم محمد بن ابراهيم الكندي
الجزء الأول
١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م

الباب السادس

في القرآن وفيه تفصيل

الفصل الأول

فيما قيل فى خلق القرآن

جاء فى بعض الأثر : قلنا للمعتزلة أخبرونا عن القرآن أمخلوق هو أم غير مخلوق ؟ قالت المعتزلة : هو مخلوق . قلنا لهم وما الدليل على أنه مخلوق ؟ قالت أدلة كثيرة من السمع والعقل . قلنا لهم : وما الذى تحتجون به من العقل ؟ قالوا : لا يخلو القرآن من أربعة معان : إما أن يكون لم يزل قديماً مع الله . أو أن يكون هو فعل نفسه، أو يكون من فعل الخلق، أو يكون فعل الله . فإن قلنا إنه لم يزل قديما مع الله كان ذلك شركا بالله وموافقة للثنوية الذين قالوا اثنان قديمان . فإن قلنا لهم : إنه فعل نفسه كان ذلك محالا لاستحالة إيجاده لنفسه قبل وجوده . وإن قلنا : إنه من فعل الخلق كان ذلك ردا على القرآن . لأن الله يقول جل ثناؤه (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً)(١) قلنا لهم وماالذى تحتجون به من القرآن . قالوا . قوله : (خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا)(٢) والقرآن بين السموات والأرض وبين الدفتين فى المصاحف .وقوله : (إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا)(٣) كما جعل الليل والنهار . وقوله (وجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً)(٤) وعدوا آيات كثيرة . وقالوا إنه محدث ، وقالوا لا يخلو إما أن يكون قديما مع الله،

---

(١) الآية ٨٨ من سورة الإسراء .

(٢) من الآية ٥٩ من سورة الفرقان . ومن الآية الرابعة من سورة السجدة .

(٣) من الآية الثالثة من سورة الزخرف .

(٤) من الآية ٧٢ من سورة النحل . ومن الآية ١١ من سورة الشورى . وفى الأصل تحريف فى الآية .

أو يكون مَحدثا ، أنزل على لغة العرب فى زمان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . وإن قلنا قديما لزمتنا الحجة التى لزمت الثنوية . وإن قلنا محدث لزمتنا حجتهم . هذه هى إجابتهم .

واعلم أن صاحب الجواب لم ينصف فى جوابه الذى ادعى فيه خلق القرآن ، وقد بنى كلامه على قواعد لا يتفق خصمه معه عليها ، وادعى أشياء لا تعرف من مذهب مخالفيه ، وكان يجب عليه أن يأتى بدليل صحيح اتفق عليه هو وخصمه . ثم يبنى عليه الكلام حتى يكون دليلا صحيحا وكلامه حجة على مخالفيه أما أن يأتى بتقسيم لا يوافقه عليه خصمه ، ثم يبنى عليه حجة على خصمه ، وذلك غير مسلم .

ويتضح ذلك فى قول المجيب لما سئل : أما الدليل على خلق القرآن لا يخلو القرآن من أربعة معان :

إما أن يكون لم يزل قديماً مع الله ، أو أن يكون هو فعل نفسه ، أو يكون من فعل الخلق ، أو من فعل الله .

ثم قسم وقال : فإن قلنا إنه لم يزل قديماً مع الله كان ذلك شركاً بالله وموافقة للثانوية الذين قالوا : اثنان قديمان . فتأمل أيدك الله فيما قال فى قسمه الأول وما قصد فيه بأن حرف معنى المخالفة له ، وأتى بخلاف معناهم له ، ثم بنى عليه كلاماً لا يسوغه لهم المخالف ، ونحن أعزك الله . نقول لهؤلاء ولكل من قال مثل مقالتهم : ما أنكرتم أن يكون كلام الله قديماً لم يزل لمتكلم لم يزل وليس فى هذا إيجاب الشرك ولا موافقة الثانوية ، لإنا قلنا : إن الكلام صفة من صفات الذات والله ، عز وجل ، لم يزل له موصوفا . فالبارى لم يزل وصفات ذاته لم تزل ، والقرآن من صفات ذاته لم يزل قائماً بالله ، والله موصوفا به ، وليست صفاته غيره ولا هو غير صفات ذاته ، ولا يجب إذا قلنـا إن الله لم يزل ،

وكلامه الذى هو به متـــكلم لم يزل أن يكونا شريكين أو أن يكونا إلـــهين(١) .

---

(١) مسألة خلق القرآن من المسائل التى بليت بها هذه الأمة بعد أن اختلط فيها الحابل بالنابل وتلبست بكثير من الأفكار الدخيلة نتيجة انضمام كثير من الشعوب إلى حظيرة الإسلام ، وهى لا تزال متلبسة بمعتقداتها القديمة ، حريصة على مواريثها الفكرية ، وكثير من هؤلاء كان إعلانهم الإسلام ستاراً تكن وراءه مؤامرات حاقدة على الدين لم تلبث أن كدرت معين فكره ، ولوثت صفاء عقيدته ، ولم يكن فى عهد الرسول – صلى الله عليه وسلم – ولا فى عهد صحابته – رضى الله عنهم – عندما كان الإسلام غضاً طريا ، وكانت عقيدته صافية نقية – وجود لهذه الأبحاث والمناظرات فى أوساط المسلمين بل كانوا يعتقدون فى القرآن أنه كلام الله ووحيه وتنزيله ، ويعتقدون بجانب ذلك أن الله خالق كل شىء ، وما سواه مخلوق له ، وإنما وجدت هذه الأبحاث والمناظرات ثغرات لتلج من خلالها إلى عقول المسلمين وأدمغتهم عندما تخلخلت صفوفهم نتيجة الفتن الداخلية ، وإذا نظرنا إلى غالب ما كتبه الكاتبون فى هذه الموضوعات وجدنا مقالاتهم مصطبغة بالعصبيات متأثرة بالانفعالات ، بعيدة عن الموضوعية التى يجب أن ترتكز عليها أبحاث العلماء ، ومن هذه المقالات المشار إليها ، هذا المقال الوارد فى هذا الكتاب فإن ما تجده فيه من ردود على المعتزلة ومن اتفق معهم أو اتفقوا معه فى مسألة خلق القرآن ، تشم منه رائحة العصبية وترى عليه آثار الانفعال ولو أخذت تفتش بين طوايا هذه الردود عن الحق لوجوته بمنأى عنها ، وناهيك بما فى هذه الردود من التناقض الكفيل بتبخرها وتلاشيها تلقائيا ، فقول صاحب المقال إن الكلام صفة من صفات الذات والله ، عز وجل ، لم يزل موصوفاً به . ثم قوله من بعد : والقرآن صفة من صفات ذاته ، والله لم يزل موصوفا به ، وليست صفاته غيره .. إلخ . كلام يدل على عدم التبصر والإمعان من قائله ، كيف ؟ وصاحب المقال نفسه يقرر أن صفات الله سبحانه هى عينه وليست غيره ويقرر بجانب ذلك أن القرآن الكريم هو صفة من صفات ذاته وهذا يعنى أن القرآن هو عين ذات واجب الوجود ، سبحانه وتعالى ، مع أن القرآن منزل من عند الله « وأنه لتنزيل من رب العالمين . نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين » . وهو بالتالى متلو بألسنة الناس . مخطوط بأقلامهم . مسطور فى صحفهم، وهل يتصور عقل سليم وقوع ذلك كله بالقرآن ، وهو صفة من صفات ذاته تعالى وصفات الذات هى عين الذات ، – كما قرر صاحب المقال نفسه – وكما هى عقيدتنا فى الصفات – والتناقض يتجلى واضحاً أيضاً بين قول صاحب المقال : إن القرآن لم يزل قائماً بالله وما يستلزمه قوله ، وليست صفاته غيره من كون القرآن عين حقيقة الذات العلية ، فإن قوله لم يزل قائماً به يفيد أنه غيره – كما هى عقيدة الأشاعرة فى صفات الذات – وقوله : وليست صفاته غيره يفيد خلاف ذلك ، أما قوله ولا يجب إذا قلنا : إن الله لم يزل، وكلامه الذى هو به متكلم، لم يزل أن يكونا =

ألا ترى أنا نقول : إن الإنسان محدث ، وليس يجب أن يكونا إنسانيين لاشتمال الحدوث عليهما ولاهما شريكين ؟ لأنا قلنا إنه محدث وكلامه محدث ، وليسا قائمين بأنفسهما ، ولا هما صفتين ولا موصوفين ، بل يوصف الإنسان بالحدوث . وكلامه أنه محدث وأنه صفة له وأنه كلامه ، ويخرج من سائر الأوصاف التي تعطى الموصوف مع ما قلناه : إنه محدث وكلامه محدث ، فما الذى أنكر المعتل أن يكون الله ، عز وجل ، قديماً لم يزل ، وكلامه قديماً لم يزل صفة لله ، عز وجل ، والبارى هو الموصوف به فيما لم يزل ، ويكون كلامه موجوداً قديماً ، ولم يزل المتكلم به قديماً إلهاً ، وليس فى هذا إيجاب الشركة ، لأن الشركة لم توضع بين الصفة والموصوف ، والمتكلم والكلام ، وإنما لها شرائط أخر ، وهو مثل أن يعطى لأحدهما مما يوصف به فى جميع ما استحق لنفسه ، وليس حكم صفة الله عندنا حكم الموصوف المتكلم . وهذا مما يقربه الخصم ويقوله ، وكيف ترك وجه ما يقوله مخالفه وزال عنه ، وأتى شيئاً غير صحيح عندنا فيما نطق من كلام الله ، عز وجل ، ثم إن هذا كما ادعى بقوله التاويه وهذا غلط عظيم على القائلين بالتثنية ، لأنهم لم يجعلوا شرط ذلك شرط الصفة والموصوف ، وإنما هم أصناف :

فمنهم المباينة الذين يقولون : إن النور لم يزل وأنه حساس

= شريكين أو يكونا إلهين ، وتنظيره ذلك بكلام الإنسان الحادث من حيث عدم استلزامه مشاركته له فى الإنسانية كشاركته إياه فى الحدوث ... إلخ . فهو كلام لا تنهض به حجة لدعواه ، فإن الإنسان غير منفرد بصفة الحدوث بل كل المخلوقات مشاركة له فيها ، بينما صفة القدم خاصة بالله وحده ، وهى من مستلزمات ربوبيته وألوهيته ، ولذلك يستلزم أن يكون من يشاركه فى هذه الصفة شريكاً له فى الربوبية والألوهية ، تعالى الله عن ذلك كله علواً كبيراً ، وقد أكدت النصوص القاطعة شمول خلق الله لكل ما سواه كما يقتضيه دليل العقل فقد قال سبحانه فى وصف نفسه : «خالق كل شىء» . وقال : «وخلق كل شىء فقدره تقديراً» وقد أجمع المسلمون على أن كل سوى الله فهو مخلوق له ، وممن حكى هذا الإجماع العلامة ابن حزم فى كتابه المحلى .

ودراك ، وكذلك الظلمة لم تزل وإنها حساسة ودراكه ، وإنهما متباينان الأزل ثم امتزجا ، فكان من جزءين ، منهما الممتزج العالم الذى فيه الخير والشر .

ومنهم المرقوبية الذين يقولون : نور لم يزل وهو ضياء وخير ، وظلمة لم تزل وهى ظلام وشر ، وواسطة بينهما دون النور وفوق الظلام ، ووقع الامتزاج من الظلمة والواسطة ، والنور بخاصة ، وإن تلابس موصوفين قائمين وصفه أحدهما غير صفة الآخر ، وكل واحد منهما فعال عالم ، فكيف يسّعه قول من قال : إن الله لم يزل ، وكلامه لم يزل ، وعلمه وقدرته وصفات ذاته لم تزل ، وإنه صفة لله لم يزل به موصوفاً ، غير مشبه لقول أهل التثنية ، وبخاصة الديصانية منهم ، الذين قالوا شيئين قديمين ، وإن أحدهما يوصف بأنه عالم قادر سميع بصير حى خبير فاضل . والآخر موصوف بأنه جاهل عاجز أصم أعمى شرير مذموم ، يكون منه الشيء بطبعه وهو ظلمة محض ، وإن النور يكون منه الشيء بإجبار وهو نور محض ، وكل ما وصف الآخر بضده وخلافه : وإن القديمين هما الأصلان الموصوفان القائمان بأنفسهما ، وكل واحد منهما ذاهب فى جهة غير جهة الآخر فى عــالم المزاج ، لأن النور من شأنه أن يعلو عندهم ، والظلمة ان تستقل وترمى ، فهذا قول هؤلاء .

وأهل الصفات ما قالوا بذلك ، ولا قصدوا بقصده ، وليس بينهما مشاكلة ولا مشابهة ، فكيف استحل هذا القائل بأن يطلق إذا قلنا إن الصفات قديمة ، وأن الله لم يزل متكلما بكلامه ، وكلامه صفة له قــديم ، إن يكون شريكا ، ومع ذلك فقد ترك الشاهد ، لأن الشركة هى أنّ يتعاونا علّى شيء يفعل أحدهما بعضه ويفعل آخر بعضا آخر ، كالبناء والخياطة وحمــل الشيء وما جانس ذلك .

أو يملكان عينا بينهما كالعبد والدار والعقار وما أشبه ذلك ، أو يكون رضى كل واحــد بنفع شيء يكون جزء منه لزيد وآخر لعمرو مثل أن يجعل لأحدهما من خدمة العبد المشترك بينهما يوم له ويوم لشريكه ، أو لا يقوم العبد بعمل لأحدهما إلا بقدر ما يقوم به للآخر . وبهذا تكون الشركة بينهما واقعة ، ولا يدخل شيء من هذا فيما قال أصحاب الصفات : إن الله عز وجل قديم وكلامه قديم وما الذى ينكر أن يكون الكلام قائماً بالله لم يزل به متكلماً ؛ ليس بفعل ولا مربوب ولا محدث ، لإنه لو كان مخلوقاً فإنه لا يخلو إما أن يكون خلقه الله فى نفسه فيكون محلا للحوادث و تعالى ربنا عن ذلك أو خلقه قائما بنفسه فيستحيل أن يكون الكلام قائماً لأن ما قام بنفسه فهو موصوف والكلام صفة(١) والصفة لا تقوم بنفسها بل تقوم بموصوف ، وهذا باب يوافقنا

---

(١) لقد كثر الأخذ والرد، بل الخبط والخلط عند كتاب المقالات حول القرآن وسائر الكتب المنزلة . هل هى مخلوقة لله عز وجل ؟ أو قديمة غير محدثة ومنشأ هذا الاضطراب الذى دفع بهؤلاء إلى هذه الهاوية السحيقة المظلمة الرهيبة التى لا قعر لها ، ولا بصيص من نور يرى بين جنباتها ؛ هو التباس كلام الله القديم الذى يراد به نفى الخرس عنه سبحانه بالقرآن وسائر الكتب المنزلة ، وعدم التوصل إلى ما بين الكلامين من فوارق تنجلى لأفهام أولى البصائر ، والخلاصة أن العلماء اختلفوا فى إثبات الكلام النفسى لله عز وجل ، فمن أثبته أثبت لله صفة قديمة تسمى كلاما ، ومراده بذلك نفى الخرس عن الله سبحانه فى الأزل وفيما لا يزال ، كما ينفى بالعلم والجهل ، وبالقدرة العجز وبالحياة الموت ، وبالسمع الصمم ، وبالبصر العمى ، وهذا هو مذهب الأشعرية وقال به غير واحد من أصحابنا العمانيين ، ومن نفاه وهم المعتزلة وجماعة من أصحابنا أهل المغرب كالإمامين أبى يعقوب الوارجلانى وأبى ساكن الشماخى ، قالوا : إن ضد الكلام السكوت وليس الخرس بدليل أن الإنسان يسكت عن الكلام مع قدرته عليه ، وقد اكتفى هؤلاء فى نفى الخرس عن الله بإثبات القدرة له تعالى وأولئك الذين يثبتون الكلام النفسى القديم لله سبحانه يقولون بخلوه من الأصوات والحروف . ولقد جاء العلامة ابن أبى نبهان فى بيان حقيقة خلو الكلام النفسى عن الأصوات والحروف ، حيث قال ما معناه ، أنما مثل ذلك — ولله المثل الأعلى — مثل كلام سلطان الجوارح ، وهو القلب أو الدماغ (الجهاز العصبى) فإنه يتصل بكل جارحة من الجوارح آمراً ناهياً وباعثاً موجهاً ، بكلام عار عن الأصوات والحروف ، ولا تستطيع جارحة ما ، أن تتمرد عليه ، فإذا كان هذا السلطان — وهو مخلوق — له هذا النفوذ فى ملكته ، وتصرف جميع الجوارح حسب أمره من غير أن يكون بينه وبينها خطاب يشتمل على الصوت =

فيه المخالف ، فليس يحتاج إلى الإطناب فيه ، أو يكون خالقه فى غيره ، فلو خالقه فى غيره لكان يسبق لذلك الغير ، الذى حدث فيه الكلام فى الأحكام من أخص أوصافه اللازمة لذلك الجنس، إما لكله وإما لبعضه ، فلما لم يسبق لكلام الله أسماء من أخص أوصافه لغير الله ، عز وجل ، وجب أنه لا يقوم بغيره ، وإذا زال الوجه الثالث فما الذى أنكر أن يكون الله متكلماً بكلام قائم به ؟ وهو صفة قديمة لموصوف قديم ، وهو الله ، عز وجل ، وخرج من حد الحدث والخلق والتكوين بعد أن لم يكن .

ثم يقال : إن أهل اللغة لم تعقل الشركة لأجل أن أحدهما صفة والآخر موصوف ، ولا قالوا : إذا كان أحدهما محدثاً وجبت شركته ، ولا قالوا إن الشريكين كانا شريكين لأنهما قديمان ، ولو كان كذلك لكان لا يقال شريكين إلا فيما كانا قديمين ، وإنما وصفوا بمعنى آخر ، ولذلك غيرّ الله من عبد غيره وادعى له نظير أو شبيها أو عديلا ،

= والحروف ، فكيف بالحى القيوم الذى استند الوجود إلى قيوميته ، فإن جميع الكائنات تنفعل حسب أمره ، من غير أن يكون بينه وبينها خطاب صوتى وحرفى ، وذلك المراد من قوله تعالى : « إنما أمرنا لشىء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون » انتهى بمعناه ، وأما القرآن وسائر الكتب المنزلة فهى أيضاً كلام الله ولكنه يختلف عن الكلام النفسى من حيث تلبسه بالصوت واشتماله على الحروف الهجائية التى لا خلاف فى خلقها ، وقد أوضح كل من العلامة ابن أبى نبهان والمحقق الخليل — رحمهما الله — وجه إضافة هذا الكلام إلى الله حيث قالا ما معناه : لنفرض أن الله سبحانه خلق كلاماً غير هذا الكلام المنزل وكونه من حروف ينطق بها الناس ثم أمر القلم أن يسطره فى اللوح المحفوظ ، وأمر أحد ملائكته أن ينزل به إلى أحد خيار خلقه فى الأرض ليتلوه على الناس ، ويأمرهم بتلاوته والعمل به ، فأخذ الناس يتلونه بألسنتهم ويخطونه بأقلامهم ، فهل الأجدر بهذا الكلام أن يضاف إلى هؤلاء الناس ؟ أو إلى من أنزل إليه منهم ؟ أو إلى الملك الذى نزل به ؟ أو إلى القلم الذى خطه ؟ أو إلى الله الذى خلقه بنفسه ؟ وأنزله بعلمه ؟ . لا شك أن كل أحد يدرك أن الصواب إضافته إلى الله ، وضرب المحقق الخليل — رحمه الله — مثلا ما تتناقله ألسنة الناس وأقلامهم من قصائد الشعراء ، ومقالات الكاتبين ، فإن روايتهم لها وعنايتهم بتدوينها لا يجعلها تضاف إليهم دون أصحابها ، وبهذا يتجلى اللبس ويتضح الإشكال .

وقالوا لهم : (خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ)(١) وقالوا : هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه ، وقال عن إبراهيم . (لِمَ تَعْبُدُ مَا لاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ وَلاَ يُغْنِى عَنْكَ شَيْئاً)(٢) وكذلك إن قالوا إذا كان كلامه قديماً ، وهو قديم ، فما انكرتم أن يكونا إلهين ؟ قيل له لا يجب إذا كان كلامه قديماً أن يكون إلهاً ، كما قلنا : إذا كان الإنسان محدثا وكلامه محدثا لا يجب أن يكونا إنسانين(٣) ، وكذلك لا يجب أن يكون كلام الله إلها ، إذا كان قديما ، وإن الله ، عز وجل ، إله ، لأن الكلام صفة الإله .

والعرب لم تضع اسم الله بمعنى قديم ، لأنهم يقولون : بناء قديم ورسم قديم ولا يقولون : إله ، فقد أطلقوا اسم القديم وأعطوه معناه ومنعوا أن يسموا إله ، وقال الله عز وجل : (حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ)(٤) ولم يقل كالإله ولا يجوز ذلك ، ويقال هذا أقدم من هذا ولا يطلقون عليه اسم الإله ، والناس قالوا فى معنى إله أقوالا ، لم يدعوا فيه معنى القديم لأن منهم من قال معنى اسم الإله أنه استحق العبادة ، ومعنى من قال إنه اسم له لا يتسمى به غيره ، ومنهم من قال : إنه يقدر على الضر والنفع . لأن غير أولئك الذين عبدوا ما لا يضر ولا ينفع . ومنهم من قال : معنى إله من الولهان ، ومنهم من يقول : معنى إله أنه قادر على إعادة الأشياء واختراعها إذا لم تكن .

ومنهم من قال معنى إله : الله واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد

---

(١) من الآية ١٦ من سورة الرعد .

(٢) من الآية ٤٢ من سورة مريم .

(٣) هذا الجواب غير مسلم ، لأن صفة الحدوث غير خاصة بالإنسان . فإن كل ما عدا الله متصف بها ، وأما القدم فهو من صفات الله سبحانه الخاصة به التى لا يشاركه فيها غيره ، فقد دل النص على أن ما عدا الله مخلوق له تعالى ، قال سبحانه « خالق كل شىء » .

(٤) من الآية ٣٩ من سورة يس .

ولم يكن له كفوا أحد ، كما وصف نفسه في قل هو الله أحـــد ، والقول في هذا الباب يطول شرحه . ومن أراد ذلك فالينظر في كتاب الأشعرى ، في بعض تفاسير الجبائي والبلخي ، وإنما أردنا أن نذكر ما نبين دفع الجهمية والمعتزلة وما يتعلقون به في قولهم لنا إذا كان الله قديما ، وعلمه قديم ، وكلامه وصفاته لذاته فما أنكرتم أن يكون إلهاً ، وإذا قلتم أن الله قديم ، وكلامه قديم أن يكونا إلهين فأريناهم أن ذلك لا يلزم من جهة القياس فيما قدمنا ، وأريناهم من المحدث وصفاته في الإنسان وكلامه أن لا يقال إنسانين ، ورأيناهم من حيث اللغة أن العرب لم تطلق ذلك . إن معنى قديم معنى إله لا مجازا ولا حقيقة فبطل قولهم وإلزامهم(١) ، ثم أن ترجع إلى كلام صاحبنا في الشركة متى وجد ذلك من ثنوي أو طبعي أو دهري أو أحد من الملحـدين أنهم قالوا : إن معنى شريكين معنى قديمين إذ أطلقوا ذلك ، وهل يتهيأ لهم أن يروا مذهب ملحد دهرى أو ثنوى أو من قال بطبائع أربعة وروح خامس ، وهو أن جعلوا معنى ذلك معنى صفة وموصوف أو كلام ومتكلم . أو قال ذلك أصحاب الهيولى الذين جعلوا ذلك أصل الأشياء . أو يمكن أن يحكى في كتاب محصّل فيما نقض على القائلين مع الله شركاء الذين قالوا بعدم أغيار فاعلين أو متفاعلين فيمن سلك سبيلهم وقدم الطائفة اليونانية والدهرية والمأمونية ومن طابقهم أن جعل علة الشركة علة قديمين أو صفة أو موصوف أو كلام أو متكلم فإذا لم يجد لذلك

---

(١) لم يقل أحد أن كلمتى إله وقديم مترادفتان ، وإنما القدم من أخص صفات الإله سبحانه وتعالى ، وإذا وصف غيره بالقدم فهو قدم نسبى لأنه وجد بعد عدم وعليه يحمل قول الله كالعرجون القديم ، وكل ما وصف بالقدم من الأشياء كالشيخ والرسم ونحوهما فهو من هذا القبيل بخلاف قدمه تعالى ، فإنه قدم حقيقى لعدم سبق العدم على وجوده ، والقائلون بقدم القرآن لا يقصدون حدوثه بعد أن لم يكن كسائر الأشياء الموصوفة بالقدم النسبى وإلا فكيف ينكرون خلقه ويشنعون على القائل به ؟ ولا ينكرون خلق العرجون وغيره مما وصف بالقدم النسبى .

مقالا ، فليأت بما يصحح به أصله ، ويعدل عمن يقول ما ليس له أصل ، ويأت بالكلام الذى يدخل على ما ذكرنا ، ويترك الحمية والعصبية ، فإن ذلك أجمل وأوجب ولولا أن يذكر الأمر عليك ، لأتينا على ما وصف مذهب الملحدة ، ولطالبنا بزيادات القوم فى الصفات ، وكنا نرى ما يوجب التماثل بين كثير من الملحدين والنافين للصفات ، ولكن يكثر ، وليس هذا موضعه . وفيما ذكرنا بيان شاف إن شاء الله .

ثم قال صاحب الجواب ، وإن قالوا : يعنى إن قلنا . فعل نفسه كان ذلك محالا ، فنحن لم نقل إن القرآن مفعول محدث مخلوق فيكون هذا الذى ذكرناه داخلا فيما بين خلقه ، وقد قلنا فيما بينا من كلام الله أنه غير مخلوق ولا محدث ولا مربوب ، ويتعالى ربنا أن تكون صفات ذاته مخلوقة ، فإن اشتغالنا بهذا الوجه لا معنى له ، لأنى لا أعرف أن أحداً قال إن الشىء يفعل بنفسه فهذ كلام ساقط(١) .

ثم قال : فإن قلنا إنه فعل نفسه ، وهو موجود فى وجود نفسه

---

(١) من العجب أن ينكر أحد من المسلمين كون القرآن مفعولا لله . وهو سبحانه الذى أنزله قال تعالى : « هو الذى أنزل على عبده الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات » . وقال : « الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا » . وقال : « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما أنزل إليهم » . وقال : « إنا أنزلناه فى ليلة القدر » . وقال : « أنزله بعلمه والملائكة يشهدون » . وقال : « إنا أنزلناه فى ليلة القدر » وهو تعالى الذى فصله فقد قال : « ولقد فصلناه على علم » . وقال : « كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن عليم خبير » . وهو الذى جعله عربيا . قال تعالى : « إنا جعلناه قرآنا عربيا » وهل الإنزال والتفصيل والجعل إلا أفعال من الله واقعة بالقرآن . فكيف ينكر صاحب المقال أن يكون القرآن مفعولا لله ؟ وفى هذا ما يكفى دليلا للعاقل على أن القرآن غير الله فإنه يستحيل أن يكون أنزله وفصله وجعله عربياً وهو عين ذاته كما يستلزمه كلام صاحب المقال الذى يقرر أن القرآن من صفات الذات ويقرر أن صفات الذات هى عين الذات كما تقدم هذا وفى انقسام القرآن إلى محكم ومتشابه ومفصل ومجمل وناسخ ومنسوخ دليل على تغايره وكفى بتغايره دليلا على خلقه فإن المحكم غير المتشابه والمجمل غير المفصل والناسخ غير المنسوخ .

فمحال أن يوجد نفسه وهو موجود ، فهذا كلام غير مستقص ولا شاف فى هذا الباب ، ولا خلاف بين أهل القبلة فى هذا ، ولكن يزيد وضوحاً غير الذى أوضحه ، رده على أصلنا وذلك أن الفعل عندنا لا يظهر إلاّ من حى قادر ، والمعلوم لا يكون حيا ولا قادراً(١) . ومحال أن يكون حيا إلا وله حياة ، ولا قادراً إلاّ وله قدرة ، فكيف أوجد نفسه من ليس له حيـاة ولا قدره ؟ وكيف يكون القرآن مفعولا لنفسه وهو صفة ؟ والصفة لا تقوم بالصفة ، ويستحيل أيضاً أن يفعل الفعل إلا القديم الحى القادر الذى يفعل الشىء ويخرجه من العدم ، وينشئه بعد أن لم يكن .

فلا خالق سواه ، ولا إله غيره ، عزّ وجل ، أو يكون من المحدث ولا يجوز أن يفعل إلا على سبيل المباشرة والتوليد ، فكيف يكون المعدوم مفعولا لشئ [قبل](٢)وجود نفسه أو يكون بفعل نفسه وكذلك وجود نفسه لا يكون إلا وفيه الحياة إذ كان فاعلا ، فكيف يفعل الحياة من ليس بحى ؟ أو يفعل القدرة من ليس بقادر ؟ فلهذا يستحيل أن يكون الشىء يفعل نفسه ، أو يفعل المعدوم الذى لا تقوم به الحياة والقدرة ، أو يكون الفعل ممن ليس بحى ولا قادر ، وفيما أوردناه كفاية بكل ما يرد فى هذا الباب . إن شاء الله .

وليس بنا حاجة إلى ذكر ذلك ، لأن هذا الباب ليس فيه خلاف ، ولا قصد إلى نقض مذهب من مذاهبنا ، لأننا لا نقول به .

ثم قال المجيب عما سألت . وإن قلنا : إنه فعل من الخلق كان ذلك ردا للقرآن لأن الله يقول جل ثناؤه : (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ

---

(١) فى الأصول : « والمقدور لا يكون حيا ولا قادرا » وهو غير ظاهر

(٢) زيادة يقتضيها المقام .

وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ ، لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ . . . الآية)(١) كذا قال ، فيقال له هذا ما لا نقوله ، لأن القرآن كما قال الله : ليس بفعل ولا مخلوق ولا محدث ، ولا يجوز أن يفعله الخلق ، لأنك تعلم أننا إذا قلنا إنه ليس بمحدث لله ، عز وجل ، ولا مصنوع وأنه لم يزل ، قد استحال أن يكون صنع صانع أو مخلوق لله ، عز وجل ، أو لأحد مما اعتللت من الآى فيدخل على قول من أصحابكم مثل معمر . ومن قال بالطبائع أنه فعل السحرة بطبعه ، وأن الله ما تكلم به ، لأن الكلام عنده لا يكون إلا بعلاج وأدوات ، وأنه فعـل الطبع إما حيوان أو موات ، ولأنه لازم له ولمن أدعى خلقه ، وإن كنتم تكفرون هؤلاء بذلك ، فيلزمكم مثل ذلك ، لأن فى قول الله عز وجل :

(قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ)(١) . دليـلا على أنه غير مخلوق(٢) ، لأن المخلوق مقدور على جنسه ومثله ، وإن كان أحدهما فعل الله ، والآخر فعل العبد ، كالحركتين اللتين إحداهما فعل الله ، والآخر فعل العبد كسبا فهو مثله .

---

(١) الآية ٨٨ من سورة الإسراء .

(٢) ليس فى عجز البشر عن الإتيان بمثل القرآن دليل على قدمه ، وإلا لكانت الكائنات كلها قديمة غير مخلوقة ، لعجز البشر عن الإتيان بمثلها ، فالمطر النازل من السماء ، والنبات الخارج من الأرض ، والثمر الناتج من الشجر والهواء المتموج فى الفضاء ، والقلوب النابضة ، والعقول المفكرة ، بل كل خلية فى الجسم أو ذرة فى الوجود كله الأجرام والمجرات لا تحدث أحداً من خلق الله نفسه أن يأتى بمثلها ، فهل يصح أن يقال أن ذلك دليل على قدمها ولقد ضرب الله للناس مثلا فى الذباب ، وعدم قدرة أوليائهم الذين يدعونهم من دون الله على خلقه مع أنه من أصغر الحيوانات المعروفة . فقد قال عز وجل « إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذونه منه ضعف الطالب والمطلوب » فهل فى هذا أدنى دليل يصح الاستمساك به على أن الذباب قديم ؟

وقد تلاءما وتشابها ؛ فلو كان القرآن مخلوقاً كان له مثل وشبه وشكل.

وقد قال شيخ المعتزلة النظام : إن له مثلا لأنه من حروف ا ، ب ، ت ، ث ، وإنما عجز الله الخلق فى ذلك الوقت عنه ، وهم قادرون على مثله قبل وبعد ، فهذا عليهم لازم ، لأن الكل يقولون : إنه لا يخرج من معانى الكلام ومثله على ما قالوا : إنه حروف أو صوت أو تأليف أو انضمام مع صوت ، أو من قال منهم إنه ترتيب الخبر والاستخبار ، والسؤال والطلب ، والأمر والنهى والاستفهام ، وماجانسه وماثله .

وإن قول من قال إن كلام الله على سبيل ما عليه المخلوقون ، ولا مثل كلام المخلوقين ، وشبيه وخطأ عندكم فقد أتى على قولكم بمثله وشبهه . ولم يكن لذكر قوله : (قُلْ(١) لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ)(٢) دل على أن الله أراد بذلك أنه ليس بمخلوق ولا شبه له ولا مثل ، ولا يقدرون على مثله .

وتكذيب لقول من قال : (إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ)(٣) وتكذيب لقول من قال : (إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ)(٤) وقول من قال : (اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً)(٥) إن كل ذلك لم يكن وأن القرآن لا مثل له ولا يتهيأ للجن والإنس أن يأتوا بمثل هذا ، لأنه غير مخلوق ، وهو كلام الله ، عز وجل ،

(١) فى الأصل : « إن لئن » خطأ .
(٢) من الآية ٨٨ من سورة الإسراء .
(٣) من الآية ٢٥ من سورة الأنعام .
(٤) الآية ٢٥ من سورة المدثر .
(٥) صدر الآية : « قالوا أساطير الأولين اكتتبها ... » وهى الآية الخامسة من سورة الفرقان

الذى ليس له مثل ، فميز لنبيه أنه عبر عن كلام الله ، الذى هو معجز ، لا مثل له ولا شبه ، وليس بمخلوق ولا محدث .

فما حكاه أنه لم يفعله مخلوق صحيح ، وما أورد أن الجن والإنس لا يأتون بمثله ، فهو دليل على أنه غير مخلوق ولا محدث ، بل هو مخالف للمحدثات ، ولا مثل له من المحدثات . فإذا بطل أن يكون له مثل ، صح أنه قديم ، وأنه لمتكلم قديم ، لأن المحدثات قد يماثل بعضها بعضا ، ويشبه بعضها بعضاً ، وتدخل كلها فى باب الكون واشتراك الحدوث والمماثلة فى أن كل كلام محدث لمتكلم محدث ، ويكون كلام له ويكون به ذلك المحدث متكلما ؛ وكلام الله لا يكون لغير الله ، إلا أن يكون محفوظاً أو معبراً متلوا ومكتوباً ، ليس أنه حال فى مكان دون مكان ، أو يوجد فى عشرة آلاف مكان شىء واحد ، لأن هذا محال لما جد قد يعدم من كل مكان ويكون فى الآخر موجوداً .

فدل ذلك على أن ثمة قراءات وعبارات وحفظا مختلفا وكتابا متغايراً والمعنى واحد غير مختلف ولا متغاير ، وهو كلام الله الذى قائم به ، لم يزل به متكلما ، وقد قال الله عز وجل : (إِنَّ هَـٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ)(١) ، فأخبرنا عن عبارات والمعنى واحد ، وتلاوات والمتلو واحد ، ولهذا نظائر . وذلك أن الله ، عز وجل ، قد يُذكر بالعربية والفارسية والرومية والنبطية ، والذكر مختلف ، والمذكور واحد ، واللغات متغايرة ، والمعنى المذكور المدعو واحد غير مختلف . وكذلك حكم المصاحف والتلاوة والحفظ .

وقد رجع القول بأن الجن والإنس لا يأتون بمثل هذا القرآن

---

(١) الآيتان ١٨ — ١٩ من سورة الأعلى .

عليه حجة أنه غير مخلوق ، ولا محدث ، ولا مربوب مملوك ، ثم قلت : فما الذى يحتجون من القرآن ؟ فقالوا قوله : (خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَــا)(١) . قلت : فالقرآن بين السموات والأرض وبين الدفتين والمصاحف .

الجواب وبالله التوفيق أنّا نقول لهم : إن كل ما بين السموات والأرض فالله خالقه فإن قالوا : نعم . يقال لهم : فيجب أن تكون أعمال العباد من الكفر والإيمان ، وجميع ما فيه من كسب الحيوان فالله خالقه فإن قالوا نعم . تركوا قولهم . وقالوا بقول المثنية الذين عندهم مجبره ضلال . وإن قالوا : لا . وهو أنشا بين السموات والأرض أبطل حجته أن كل ما بين السماء والأرض فالله خالقه بالآية التى احتج بها وصارت الآية خاصة فى بعض ما بين السماء والأرض دون الكل ، فما الذى أنكرتم أن القرآن لا يكون مخلوقاً وإن كان يتلى ويحفظ ، ويكتب بين السماء والأرض .

وقول الجهمية : إن الله فى كل مكان وبين السماء والأرض . ويعتل بقوله: (وَهُوَ الَّذِى فِى السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِى الأَرْضِ إِلَهٌ)(٢) فيجب أن يكون مخلوقا فإن كان الله لا يمنعنا الحلول ولا هو مماس ولا ذاته تحويه الأماكن وهو غير مخلوق ، فما الذى أنكرتم أن القرآن يوجد متلوا بين السماء والأرض ، وذاته قائم بالله ، لأن كلامه ليس بحالٍّ فى الأشياء ولا مماس ولا ملاصق ، وإنه غير مخلوق .

ووجه آخر أن الشىء المخلوق لا يوجد عينه الذى فى هذا المكان

---

(١) وردت فى الآية ٥٩ من سورة الفرقان : « الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام » ؛ وفى الآية الرابعة من سورة السجدة : « الله الذى خلق ... إلخ » .

(٢) من الآية ٨٤ من سورة الزخرف .

فى مكان آخر ، ولا يكون الشىء فى مكانين لأنه لو كان فى مكانين لكان إذا عدم من أحدهما فقد عدم من الآخر ، لأن الشىء لا يكون معدوماً موجوداً ، ولا حاضراً غائباً ، ولا فانياً باقياً . فلما وجدنا القول ينشأ ويكون حفظه عند الآخر ، علمنا أن عينه لم تذهب ولم تزل ، وأن حفظ الحافظ عين القرآن ، وكذلك تلاوته : وأن القرآن لا يزيد بزيادة المصاحف ، ولا يكثر بكثرة الحفظ ، ولا ينقص بنقصان المصاحف ، ولا يقل بقلة الحفظ .

ولا يكون فيه معانى بتلاوة التالى ، ودرس من يدرسه ، وقراءة من يقرؤه . وأن الله خلق السموات والأرض وما بينهما ، ولا يدل بذلك على خلق القرآن ، إذ القرآن يوجد قائماً بالله ، وبين السماء والأرض ، أن لو أعدم الله الأماكن والسماء والأرض لوجد ذلك . ولا يكون شيئا مخلوقا فى مكانين متباينين(١) بينهما ألف فرسخ وألف ألف فرسخ ، فيكون هذا وهذا .

وقد وجدنا المصاحف بين بيها الآجام والآكام ، فلا يجوز أن يكون ما هو حال ها هنا حال ثمة ، ولكن المكتوب المذكور والمتلو غير واحد غير حال ولا هو موجود الذات بالكلية والجزئية فى ذلك الشىء ، ويكون فى شىء آخر . ولا كاد يتهيأ لهم أن يوردنا مخلوقاً فما هذه صفته وإذا فارق القرآن سائر المخلوقات وجب أنه غير مخلوق ، ولا يكون لما أوردوه حجة على خلقه .

ووجه آخر إذا قلتم أن القرآن مخلوق بهذه الآية فما أنكرتم أن يكون قوله : (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ)(٢) وفى جميع من عليه

---

(١) فى الأصل : « أو متباينين » .

(٢) الآية ٢٦ من سورة الرحمن .

وقوله : (تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا)(١) أنه دمر السماء والأرض . وقوله : (وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ)(٢) أنه أوتيت ما أوتى الرجال ويجىء إليه ثمرات كل شئ أن يكون ما يؤكل ويدخر يجئ فما لم يكن هذه الاى على العموم والاستيعاب فما أنكرتم أن يكون قوله : « خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا)(٣) ليس بواجب أن يكون القرآن مخلوقاً ، ويقال لهم لا نعلم أنا نقول : إن القرآن لا يقوم إلا بالله ولا يوجد إلا به ، وأن ذاته ليس بحسال فى مكان ولا موضع إلا بالله ، عز وجل ، قائم وإنا نعبر ونتلو ونقرأ ونحفظ وليست عينه حاله ولا ذاته تحويه شيء أو يحدق به مكان ، فكيف يسوغ له أن يعتل بهذا وأن يخالف فيه ، فهذا حجة للمثنية الذين يقولون إن كل ما بين السماء والأرض مخلوق . والله أنشاه وخلقه ، وهو دليل أن الله خلق أعمال العباد إذا كانت بين السماء والأرض .

ووجه آخر أن كلام الله قديم ، والقديم لا يخلق ولا يفعل ، لأن المحدث لا يفعل ما قبله ، والقديم يستحيل أن يكون مقدوراً لقديم أو محدث ، وكلام الله قبل كل شيء وهو لم يزل ولا يزال والله به متكلم ، ثم خلق السموات والأرض وما بينهما بقدراته وقوله : كن فيكون ، وكيف يكون مخلوقا ما كون بها المخلوقات وأسبابه المحدثات من السماء والأرض وما بينهما أن قال له : كن فكان . ففى هذا أن الله خلق السموات والأرض وما بينهما ، وأن كلامه قديم كون به السماء ، ووجد قبل أن كانت السماء والأرض . ثم قلت : (إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً)(٤) كما جعل الليل والنهار وكقوله :

---

(١) من الآية ٢٥ من سورة الأحقاف .

(٢) من الآية ٢٣ من سورة النمل .

(٣) من الآية الرابعة من سورة السجدة .

(٤) من الآية الثالثة من سورة الزخرف .

(جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً)(١) .

قلت وعدوا آيات كثيرة ، فجعلت ما أثبت به دليلا للخصم على خلقه .
والأمر ، أعزك الله ، عندى وعنده بخلاف ما رمم . وذلك أنا نقول له : إن كان ما قلتم من جعله دليلا على خلقه ، فيجب أن يقولوا إن قول الله : (وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً)(٢) أن يكون الله يخلق أعمال العباد ، ويعيدها يوم القيامة ، ويحولها ويجعلها كالهباء المنثور .

فإن قلتم : إن الجعل ها هنا ليس بخلق زالت عنكم حجتكم وانتقض ما ثبت إذا لم يكن معنى مجعول معنى مخلوق . ووجه آخر قال الله عز وجل : (وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا)(٣)أن يكون الله خاق كلمة الذين كفروا ، فيكون كلام الكفار مخلوقا له ، عز وجل ، فيكون جحدهم وكفرهم ، وما تكلموا به مخلوقا لله ، عز وجل ، وهو كلام الذين كفروا ، بأن جعل الله كلمتهم السفلى وكلمته العليا . فإن قلتم إنه لم يخلق وإنما حكم به وقضى أنه باطل لا بمعنى أنه خلق ، فما أنكرتم أن يكون قوله (إِنَّا جَعَلْنَاهُ) بمعنى حكمناه . وبمعنى نسيره بلسان عربى مبين ، لا أنه خلقه .

ويقال لهم أكل مجعول مخلوق لمن جعله بمعنى الخلق ؟ فإن قالوا نعم . قيل لهم فقول الله عز وجل : (وَلَا تَجْعَلُوا اللهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ)(٤) أى لا تخلقوه . فإن قلتم : نعم . خرجتم مما عليه أهل القبلة . وإن قلتم : وليس معناه معنى المخلوق قلتم جعلتم قول الله عز

---

(١) من الآية ٧٢ من سورة النحل .
(٢) الآية ٢٣ من سورة الفرقان .
(٣) من الآية ٤٠ من سورة التوبة .
(٤) من الآية ٢٢٣ من سورة البقرة .

وجل : (إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا) أن يكون مخلوقا ، فإن لم يكن معنى مخلوق ، فإنه أراد به الحكم والتسمية له بلسان عربي ، لا أنه مخلوق .

ويقال لهم : ألم يقل(١) الله عز وجل : (وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثاً)(٢) أخلقوا الملائكة أم جعلوهم بنات ؟ أو بمعنى سموا لا أنهم خلقوا ؟ فإن كانوا خلقوا فخلقوا الملائكة ، وخلقوا بنات لله . و يقال لهم : قد يكون الجعل بمعنى الحكم ، وقد يكون بمعنى الاسم . فأما الحكم مثل قوله : (يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ)(٣) أى حكمنا أن تكون خليفة فى الأرض ، لأن داود قبل أن جُعِل خليفة مخلوق مجعول .

وقد يكون بالاسم مثل ما أخبر أن الكفار جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا ، وقد يكون معنى البيان بالوضوح ، كما قال : (وَجَعَلَ كلمةَ الذينَ كفروا السُّفلى وكلمةُ الله هىَ العُليا) وتكون بمعنى الحدث . مثل ما سأل إبراهيم صلوات الله عليه ربه : (رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ)(٤) له ولابنه فيسأل الله عز وجل . وهذا لا يقول به المخالف لأن عنده أن الله لا خالق اسلام إبراهيم وولده ولا لأحد .

فإذا تبين معنى الجعل وليس يدل على خلق الشىء فى كل موضع ، فلم حكمتم بخلق القرآن لقوله : (إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا) ؟ دون أن يكون سماه وحكم ويسّر وأفهم عبارته بعربية ، ولا يكون ذلك دليلا على خلقه ، ولا على حدثه . وليس إذا قال ، إنى جعلت

---

(١) فى الأصل : « ويقال لهم أليس قال » .

(٢) من الآية ١٩ من سورة الزخرف .

(٣) من الآية ٢٦ من سورة ص .

(٤) من الآية ١٢٨ من سورة البقرة .

الليل والنهار(١) وجعل لكم من أنفسكم أزواجا(٢) فى موضع ، وذكر غيره فى موضع وأثبتهما إذا كان أحدهما مخلوقا ، أن يكون الآخر مخلوقا ، ألا ترى أن الله ، عز وجل ، سمى نفسه شيئا ، وغيره شيئا ، ونفس غيره وكذلك سمى نفسه علاّم الغيوب وسمى غيره عالم ، وقال : (أفَمَنْ يَعْلَم كَمَنْ لا يَعْلَم)، ويجب أن يكون مثله لأن هذا يعلم وهذا يعلم ؟

ثم قلت بعد ما ذكرنا ، وقالوا : إنه محدث . ولا يخلو إما أن يكون قديما مع الله ، أو يكون محدثاً أنزله على لغة العرب فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم . فإن قلنا إنه قديم لزمتنا الحجة التى لزمت الثنوية وإن قلنا محدثا لزمتنا حجتهم . أنت ، أعزك الله ، إذا قرأت الكلام المتقدم تبين لك أن حجة الثنوية لم يلزم بما بيناه وكشفناه ، وعرفنا المجيب أن ذلك غير لازم ، وقلنا إنه قديم لم يزل له متكلماً بما تقدم من البيان ، وأوردنا من الشرح فى ذلك . فتكراره لا معنى له لأن الكلام قد سبق فى الجواب عن هذا . وبالله التوفيق .

وقوله : أو يكون محدثا أنزله على نبيه ، صلى الله عليه وسلم ، فنحن لا نأبى أن يكون النبي ، صلى الله عليه وسلم ، عرف كلام الله ، بعد أن لم يكن عارفا به ، وعرف الله بعد أن لم يكن عارفا ، لأنه محدث ومعرفته محدثة وعلمه محدث والكلام لم يزل . وعلم الشيء وفهمه محدث ، كما أن الله لم يزل . وعلم النبى وفهمه ومعرفته محدث وليس لأحد ما عرف الله بعد أن لم يكن عارفا ، أو ذكر الله بعد أن لم يكن ذاكراً ، ما يجب أن يكون المعروف والمذكور محدث ، وكذلك علم النبى بالقرآن وفهمه

---

(١) ليس هذا من نص القرآن .

(٢) الذى ورد فى الآية ٧٢ من سورة النحل : « والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً » .

ووقعه على كلام الله ، عز وجل ، ولا يوجب حدثه فى ذلك الوقت . كما أنا عرفناه وعلمناه وذكرناه وعبرنا عنه بالعربية ، ولا يجب حدثه فى وقتنا هذا ، ولا أن عينه كان الساعة ، بل كان قبلنا وإن كنا قد علمنا الساعة ، وكذلك قصة نزوله ومعرفته وفهمه به وهذا كاف ، والحمد لله ، كما هو أهله .

مسألة : ومن غير الكتاب عن أبى محمد عبد الله ابن بركة فيما عندى يقال لهم : ولم قلتم : إن من سمع كلاماً بين مختلفين لم يعرف حكمه إنه هالك ؟ وما حجتكم على من احتج عليكم فقال : أليس من أقر بالجملة فقد ثبت له اسم الإسلام بإجماع ؟ فإن قلتم : نعم . ولا بد لكم من ذلك ، قيل لكم : فلا يزيل الإجماع إلا اجماع فلم نقلتم هذا الإسلام بغير فعل كان منه ولم يعتقد عند سماعه عند قول المختلفين قولا ولا مذهباً ولا كان منه فعل ؟ وهل هلك الإنسان بفعل غيره ؟ ونسأل الله الهداية لما يقرب إليه .

ومن خطأ هذه الفرقة التى شذت عن الإجماع وخرجت منه بقولهم : إن الإنسان يكفر إذا لم يعلم الحق . ولا يرجعون فى قولهم هذا إلى تحصيل أن عمر بن الخطاب سأل النبى ؛ صلى الله عليه وسلم ، عن القدر ، فقال : أرأيت يا رسول الله ما نعمل فيه أمر قد فرغ منه أو أمر مبتدأ ؟ فقال : فيما قد فرغ منه فاعمل يا ابن الخطاب ، فكل ميسر لما قد خلق له . فقد جهل عمر أمر القدر ، وقد خطر بباله . ولم يبرأ منه النبى ، صلى الله عليه وسلم ، ولم يخطه إذ قد جهل قبل السؤال وإنما سأل ليعلم الحق فيتبعه ، ويقول به ويعتقده فإن قالوا من جهل شيئا من أمر الدين أو شيئا من فروع التوحيد كفر . قيل لهم : فما تقولون فى عمر ابن الخطاب وقد جهل القدر وهو من أحكام التوحيد ؟

وقد قال محمد بن محبوب : القرآن كلام الله ووحيه ولا أقول : مخلوقا(١) ولا غير مخلوق ، والقرآن من أحكام التوحيد وفروعه ، ولم أعلم أحداً من أهل هذه الدعوة كفره وشهد عليه بالهلاك عند وقوفه وشكه فى هذا المكان العظيم . فلا أدرى ما دعاهم إلى هذا التأويل الفاسد ، والاعتقاد الذى لا يوافقهم عليه أحد .

ومن الكتاب — وأظنهم أنهم ذهبوا إلى شىء فلم يحسنوه ، ولم يعرفوا معناه ، وركبوا بخواطرهم الفاسدة هذا المركب الصعب الذى يرمى بهم إلى أعظم الأهداف(٢) لأنهم سمعوا أن الحق لا يسع جهله ، ففسره هؤلاء بهذه الحلوم الصعبة ، وذلك أن ما كان الحق فيه واحدا فهو على ضربين ، فضرب من طريق السمع : وضرب من طرين العقل . فما كان طريقه طريق السمع فغير لازم فرضه ، ولا هالك من لم يعلمه إلا بعد قيام الحجة به ، وهو الخبر المنقول ، فإذا طرق السمع بصحته لزم فرضه إن كان مفسراً فى نفس اللفظ المنقول ، وإن كان مجملا فإلى أن يسأل العلماء عن تفسير ما خوطب به وما كان طريقه طريق العقل فينقسم قسمين :

أحدهما : دليله قائم فى العقل مثل : أن الله واحد ، وأنه عالم وقادر ، ونحو ذلك ، فعليه عند ذكره وسمعه إياه أن يعتقده ويعلمه ولا يجهله ، وهو هالك عند خطوره بباله . وقيل بالاختلاف وبعده ، فهذا ونحوه لا يسع جهله . ولا عذر للشاك فيه لقيام دليـله ولزوم حجته .

والقسم الثانى : وهو ما كان الاختلاف بين الناس فيه ، مثل عالم

---

(١) فى الأصل : « مخلوق » .

(٢) فى الأصل : « المهادف » ولو قال : « المهالك » لكان أفضل .

بعلم، وقادر بقدرة، أو عالم بنفسه وقادر بنفسه، فحجة هذا تلزم بعد الاستدلال والسؤال وعلى الشاك فيه ألا يعتقد قولا من اعتقاد المختلفين بغير دليل، وإن كان يتمسك بالجملة وهو أن الله وحده ليس كمثله شيء .

مسألة : أحسب عن أبي الحسن محمد بن الحسن : وأما قولك ما يقول المسلمون في القرآن . ومن يقول أنه مخلوق أنخطئ من قال إنه مخلوق أولا يخطأ ؟ ويرد علم ذلك إلى الله . ففي ذلك أقاويل من المسلمين إلا أن(١) الذي نأخذ به لا نقول مخلوقا(٢) ولا غير مخلوق . ونقول كتاب الله الذي أنزله .

فمن قال إنه مخلوق ولم يخطئ(٣) ومن يقول إنه غير مخلوق لم نخطئه(٤) . ومن خطأ من قال : إنه غير مخلوق خطأناه إذ قال إنه مخلوق . ويرد على ذلك إلى الله . وهو أعلم بالصواب في كل شيء .

ومن غيره : وقد يوجد في الآثار : فمن يقول إن القرآن مخلوق أقاويل . فقال من قال لا يبلغ به ذلك إلى البراءة ، ولا وقوف وهو في الولاية ، وذلك إذا علم أنه يعني بخلقه حدوث وحيه على النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وتلاوة النبي ، صلى الله عليه وسلم ، على أمته ، وإنزال الله له ، وكتابه في اللوح المحفوظ ، وما يخرج على هذا من التأويلات .

وإذا علم أنه يعني هذا فهذا مصيب قابل للحق وهو في الولاية . وقال من قال بالبراءة وذلك إذا أراد به القرآن نفسه ، لأن القرآن علم

---

(١) في الأصل : « أنا » خطأ .
(٢) في الأصل : « مخلوق » .
(٣) في الأصل : « يخط » .
(٤) في الأصل : « نخطه » .

الله وكلامه ، وكلامه علمه . فمن قال إن علم الله وكلامه محدث فقد كفر ويبرأ منه . وقال من قال بالوقوف عمن قال إنه مخلوق ، وذلك أنه لما اشتبه أمره فلم يعلم ما أراد به فى ذلك ولا ما تأويله أدخل الشبهة على نفسه فى قوله ، فوقف عنه من وقف من المسلمين . وكذلك إن لم يعلم منه ما تأويله ولا ما مذهبه ، وكانت له ولاية متقدمة جازت ولايته ، حتى يعلم أنه يتأول بتأويل الضلال ، ويحتمل الوقوف لما أدخل على نفسه من الشبهة ، وفى ظاهر الأمر أيضاً يحتمل البراءة ، حتى يتبين ما أراد بذلك من تأويل الحق . فافهم ذلك . والله أعلم بالصواب .

وأما إذا تبين فلا يجوز فيه إلا الولاية على تأويل الحق أو البراءة على تأويل الضلال ، إلا ألا يعرف الحكم فيه من علم منه ذلك ، فوقف عن ولايته ليستتيبه على الاعتقاد فيه للصواب . جاز ذلك إن شاء الله .

مسألة : وفى كتاب أبى زياد ، وسعيد بن محرز ، وزياد ، إلى محبوب النظر يسألونه : ما قولك فى هذا الأمر الذى قد تنازع الناس فى القرآن ؟ وقول من قال إنه مخلوق ، فهل حفظت فيه شيئاً ، وما الحجة فيه على قولك أنه مخلوق أو غير مخلوق ؟ فإن أوائلنا كانوا معافين من التنازع من أشباه هذا ، إلا ما هم عليه ، مما قد قال(١) فيه أوائل المسلمين ، وسيروا(٢) فيه السير ، وثبتوا فيه الحجة ، فوطئنا آثارهم ، وقلنا بقولهم وصدقناهم ، وعرفنا أن ذلك هو الحق والعدل .

وأما هذا الذى وقع أنه محدث ، لم يعرف قول المسلمين فيه ،

---

(١) فى الأصل : «قالوا» خطأ .

(٢) فى الأصل : «وسير» .

وكرهنا أن نقول فيه بالرأى ، ثم نبرأ ممن خالفنا فيه . وقلنا : إن الله خالق كل شيء ، وما سوى الله مخلوق ، والقرآن كتاب الله ووحيه ، والله أنزله . وقولنا مع ذلك قول المسلمين ونحن سائلون . وبلغنا عن أبي عبيدة أنه قال الشاك هو المقيم على شكه ، والسائل ليس بشاك ، فاكتب إلينا بما حفظت .

قال : مثلها قلت لأبي مروان . أخبرنا أن موسى بن على ، رحمه الله ، يقول بالخلق . قال أبو مروان : كذب من روى هذا على موسى ابن على . بل موسى يقول : القرآن كلام الله ولا يقول [القرآن مخلوق .

وهذا جواب أبي صفرة عبد الملك بن صفرة إلى المحب وسفيان ابني محبوب ، وفهمت كتابكم فى القرآن ، فما سمعت أن أحداً من أصحابنا يذكر أن القرآن مخلوق . ويقول هو كلام الله . ولقد رأيت ببغداد أبا عبد الله محمد بن عبد الحميد البحرانى ، وجعفر بن يحيى ابن الربيع ، وقد كلمه عدل بن زيد فى ذلك فقال : بلغنا أنه يقول إن القرآن مخلوق .

وسألت أبا محمد عبدالله بن عروس ببغداد ، وهو شيخ من شيوخ المسلمين ، عن ذلك فقال : ما سمعت فيه من أصحابنا شيئا وقد أدرك الربيع ، وأما قولكم فى البراءة فمن قال القرآن مخلوق : فالله أعلم ما أحب أن يعجلوا بالبراءة فإنى سمعت أبا سفيان يقول : إذا برئت فقد قلته . وقال : كان الربيع يقول لا خير فى تعجيل البراءة ، وأما الذى ذكرتم يحكى عنى أنى قلت أن القرآن مخلوق ، فقد قالوا علىّ ما لم أقل ولم يسمعه منى [أحد](١) ولا تقبلوا ذلك على ، ولا تعجلوا بالبراءة ، وقولنا قول المسلمين .

---

(١) زيادة يتم بها التعبير .

وبلغنا أن أبا صفرة سأل أبا على موسى بن على ، رحمه الله ، عن القرآن أهو مخلوق ؟ قال : ما عندنا فى ذلك شىء ، إلا أن قولنا قول المسلمين ، وسأل أبو على أبا صفرة فقال على قوله .

وحدثنا الفضل بن الحوارى فقال : اجتمع الأشياخ فى منزل ، منهم : أبو زياد ، وسعيد بن محرز ، ومحمد بن هاشم ، ومحمد بن محبوب ، وغيرهم من الأشياخ ، فتذاكروا فى القرآن ، فقال محمد بن محبوب : أنا أقول إن القرآن مخلوق . فغضب محمد بن هاشم وقال : أنا أخرج من عمان ولا أقيم فيها . فظن محمد بن محبوب أنه يعنى به ، فقال : بل أنا أولى بالخروج من عمان ، لأنى فيها غريب ، فخرج محمد ابن هاشم من البيت وهو يقول : ليتنى مت قبل اليوم . ثم تفرقوا ، ثم اجتمعوا بعد ذلك فرجع ابن محبوب عن قوله . واجتمع من قولهم أن الله خالق كل شىء ، وما سوى الله مخلوق ، وأن القرآن كلام الله ووحيه وكتابه وتنزيله على محمد النبى ، صلى الله عليه وسلم ، وأمروا مهنا لإمام بالشد على من يقول أن القرآن مخلوق .

وقال الفضل بن الحوارى : إن من قال إن القرآن مخلوق وله ولاية ولم يبرأ ممن لا يقول بقوله لم تقطع ولايته . ومن قصيدة وجدت أنها لأبى المؤثر وكتبت منها هذا .

وتوراة موسى والزبور كلامه وإنجيل عيسى والقُران المحقق(١)

القرآن المحقق : يعنى [أنه] شاهد على ما سبقه من الكتب . وقال الله: وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ

---

(١) كلمة « القرآن » تنطق بالتسهيل ليتحقق الوزن .

مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ)(١) يعني شاهداً يتقدم أحد الشاهدين ويشهد بما يقول الآخر صدق ، فسمى شاهداً .

ومن القصيدة قوله :

كلام له رب ولا لافظ به　　وما صفة الجبار بالقول ينطق

يعني رب كل شيء . والتوراة والزبور والإنجيل والقرآن من الأشياء التي ربُّها الله . لا بالقول ينطق : لأنه لا ينطق إلا ذو جوف ولسان ، والله منزه عن ذلك . وإنما كلام به مشيئته .

ومن القصيدة :

فتدبيره بالوحي والكُتُب التي　　بها أُلهِمَ الأبرارَ رُشْداً ووفقوا
كتدبيره للأرض والماء والسما　　ومذرى جميع الخلق ما فيه مفرق
فإن قال لا بل هي هُو(٢) فإنه　　يصرِّفه عن ساق ذلك أحيق

من قال إن الاسم هو الذات فقال : الله ذو العرش ، فقد علمت أن العرش غير الله ذو الأسماء الحسنى ، والأسماء الذات لأن الأسماء ظاهرة تلفظ بها الألسن ضمنّها الكتب .

ومن القصيدة :

فمن قال أن يدعوه عرشا فقل له
بأسمائه يُدعى ويُرجى ويعرق
وقولوا لهم أسماؤه وصفاته
تدل على توحيده وتصدق

---

(١) من الآية ٤٨ من سورة المائدة .

(٢) لا تنطق الياء ولا الواو في « هي هو » ليستقيم الوزن .

ومن القصيدة :

وفاطر خلاق البرية كلها   وما مسها إلا المشيئة تفرق

خلق الخلائق بلا علاج ولا حركة إلا أن شاء أن تكون الأشياء فكانت فى الأوقات التى شاء أن تكون فيها .

ومن الكتاب لأن كلام الله وقول الله بقدرة لا بلفظ ، والقدرة التى قدر بها الكتب هى القدرة التى قدر بها سائر الخلق ، لأن قدرة الله غير مختلفة.

ومن القصيدة :

وما أظهر الأشياء إلا بقدرة   بها أفطر الآلاء يدرى ويخلق

والفطر واحده فطرة ، وهى الخلقة . يدرى : يخلق :

ومن القصيدة :

لأن إلهى غير مختلف القوى   ولا طَوْلُه عن حَوْله متفرق

فإن الله ذو الطَّول وذو الحول . فليس الحَوْل غير الطَّوْل ، ولا الطول غير الحول . وإن اختلف الاسمان فالمعنى واحد .

ومكنون أسماه ومخزون علمه   بتقديره إظهاره لا يفرق

إن الله تبارك وجهه ، وتعالى جده ، كان أزليا لا مبتدأ .

وليس معه شىء إلا مخزون به وصفاته والصحف والكتب التى سبقت فى علمه سيظهرها إلى عباده . وأسماء الملائكة والنبيين والمؤمنين ، وكلامهم . وأسماء الكفار كله فى علمه مخزون مكنون ومن ذلك أنه أخبر عن قوم قالوا ، ولم يكونوا قالوا ، ولكن سيكون . أخبر عن أهل

الجنة حيث يقول : (وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ)(١) فأخبر عن قولهم ولم يقولوه ، ولكن سيقولون . ولم يكن معه ذو روح يتنفس ، ولا شىء مسمى ، إلا ما سبق فى علمه ، ثم أظهر الخلق . فمن الخلق ما أظهره بتصويره مثل السماء والأرض والملائكة والجبال وسائر الخلق . وأما ما أظهره بتقديره فهو المسموع والملفوظ .

وقول المسلمين فى قول الله : (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)(٢) إن ذلك مشيئته ، إذا شاء الله تقدير شىء سبق فى علمه : وعزم على تكوينه فى وقته الذى سبق فى علمه أنه سيكونه ، كان بلا لفظ ، ولا حـــركة ولا بطش ولا معالجة ، سبحان الله وتعالى . إن الله تبارك وجهه الأشياء منشأة فى علمه ، لا يبدو منها الشىء بعد الشىء ولا تخطر لله الخواطر ، ولكن سبق فى علمه كونها بمشيئته فى أوقاتها المعلومة ، فإن قال قائل كيف يقول : (إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)(٣) ويريد أن يثبت أن الله لافظا ناطقا سبحان الله عما قال . والحجة عليه أن الله قال لإبراهيم : (وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا)(٤) فإن قال : الله نادى إبراهيم بذاته فقد أعظم الفرية على الله . وإنما ذلك جبريل . نادى أن يا إبراهيم بأمر الله . ولهذا حجج كثيرة يطول فيها التفسير ويطول فيها الكتابة .

---

(١) من الآية ٤٤ من سورة المائدة .

(٢) الآية ٨٢ من سورة يس .

(٣) الآية ٤٠ من سورة النحل وقد ورد فى الأصل : « إنما أمرنا لشىء ... إلخ » تحريف .

(٤) الآية ١٠٤ وبعض ١٠٥ من سورة الصافات .

الباب السابع

فى معنى إله

فصل فى الاسم غير المسمى

ولكن الاسم دليل على المسمى غير الذات .

فقد أطلقوا الاسم القديم وأعطوا معناه ، ومنعوا أن يسموا إلها . وقال الله عز وجل : (حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ)(١) ولم يقل كالإله ، ولا يجوز ذلك . ويقال هذا أقدم من هذا ، ولا يطلقون عليه اسم إله . والناس قالوا . فى معنى إله أقوالا لم يدعوا فيه معنى القديم . لأن منهم من قال معنى اسم إله : إنه استحق العبادة .

ومنهم من يقول : إنه اسم له ، لا يتسمى به غيره . ومنهم من يقول إنه يقدر على الضر والنفع ، لأن الله غير أولئك الذين عبدوا ما لا يضر ولا ينفع ، ومنهم من قال : إله من الولهان . ومنهم من يقول : معنى إله قادر على إعادة الأشياء واختراعها إذا لم تكن .

ومنهم من قال معنى الله واحد صمد (لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) كما وصف نفسه فى : (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ) والقول فى هذا الباب يطول شرحه ومن أراد ذلك فلينظر فى كتاب الأشعرى فى بعض تفسير الخالى والبلخى . وإنما أردنا أن نذكر ما نبين به دفع الجهمية والمعتزلة وما يتعلقون به فى قولهم لنا إذا كان الله قديماً وعلمه قديم وكلامه وصفاته للذاته فما أنكرتم أن يكون إله .

---

(١) من الآية ٣٩ من سورة يس .

وإذا قلتم : إن الله قديم وكلامه قديم أن يكونا إلهين ، فأريناهم أن ذلك لا يلزم من جهة القياس ، فيما قدمنا ، وأريناهم من المحدث وصفاته فى الإنسان وكلامه ألا يقال إنسانان وأريناهم من حيث اللغة ، وأن العرب لم تطلق ذلك أن معنى قديم معنى إله لا مجازاً ولا حقيقة ، فبطل قولهم وإلزامهم .

ثم إنا نرجع إلى كلام صاحبنا فى الشركة متى أنه وجد ذلك من ثنوى أو طبيعى أو دهرى أو أحد من الملحدين أنهم قالوا : إن معنى شريكين معنى قديمين إذا أطلقوا ذلك ، وهل يتهيأ لهم أن يرون مذهب ملحد ودهرى أو ثنوى أو من قال بطبائع أربعة وروح خامس وهو أن جعلوا معنى صفة وموصوف أو كلام ومتكلم أو قال ذلك أصحاب الهيولى الذين جعلوا معنى ذلك أصل الأشياء أو يمكن أن يحكى فى كتاب محصل فيما نقص على القائلين مع الله شركاء فمن سلك سبيلهم ومن صانعهم أن جعل عليه الشركة علة قديمين . وصفة وموصوف أو كلام ومتكلم فإذا لم يجد لذلك مقالا فليأت بما يصحح به أصله ، ويعدل عن قول ما ليس له أصل ويأتى بالكلام الذى يدخل على ما ذكرناه ، ويترك الحمية والعصبية فإن ذلك أحمد وأحبّ .

ولولا أن نكثر الأمر عليك لأتينا على وصف مذهب الملحدة ولطالبنا بزيادات القوم فى الصفات وكنا نرى ما يوجب التماثل بين كثير من الملحدين والنافين للصفات ،لكن لانكثر وليس هذا موضعه . وفيما ذكرنا بيان شاف ، إن شاء الله ، وبه التأييد .

ثم قال صاحب الجواب : وإن قالوا يعنى إن قلنا فعل نفسه كان ذلك محالا ، فنحن لم نقل إن القرآن مفعول ، محدث مخلوق ، فيكون هذا الذى ذكرنا داخلا فيما بين خلقه . وقد قلنا ما بيّنا فى كلام الله وأنه غير مخلوق ولا محدث ، ويتعالى ربنا أن تكون صفات ذاته مخلوقة ،

وإن اشتغالنا بهذا الوجه لا معنى له ، لأنى لا أعرف أن أحداً قال إن الشىء يفعل نفسه ، فهذا كلام ساقط . » .

ثم قال : فإن قلنا إنه فعل نفسه وهو موجود ، فوجود نفسه محال أن يوجد نفسه وهو موجود ، فهذا كلام غير مستقص ولا شاف فى هذا الباب ، ولا خلاف بين أهل القبلة فى هذا ، ولكن يزيد وضوحاً غير الذى أوضحه رده على أصلنا.

وذلك أن عندنا أن الفعل لا يظهر إلا من حى قادر ، والمقدور لا يكون حيا ولا قادراً ، ومحال أن يكون حيا إلا وله حياة ولا قادراً إلا وله قدرة . فكيف أوجد نفسه من ليس له حياة ولا قدرة؟ وكيف يكون القرآن مفعولا لنفسه وهو صفة ، والصفة لا تقوم بالصفة ؟ ويستحيل أيضاً أن يفعل الفعل إلا القديم الحى القادر ، الذى يفعل الشىء ويخرجه من العدم ، وينشئه بعد أن لم يكن ، فلا خالق سواه ولا إله غيره ، عز وجل :

أو يكون من المحدث فلا يجوز أن يفعل إلا على سبيل المباشرة أو التولد وكيف يكون المعدوم مفعولا لشىء وجود نفسه ، أو يكون يفعل نفسه ، وكذلك وجود نفسه لا يكون إلا وفيه الحياة إذا كان فاعلا ، وكيف يفعل الحياة من ليس بحى ، أو يفعل القدرة من ليس بقادر؟ فلهذا ما يستحيل أن يكون الشىء يفعل نفسه ، أو يفعل المعدوم الذى لا تقوم به الحياة والقدرة ، أو يكون الفعل ممن ليس بحى ولا قادر ، وفيما أوردناه كفاية لكل ما يرد فى هذا الباب .

الباب الثامن

فى الرد على من يقول إن القرآن مخلوق

بسم الله الرحمن الرحيم

فصل من كتاب عزان بن الصقر

تعلم علمك الله الرد على من يقول : إن القرآن مخلوق : الحمد لله الذى أوضح لنا سبيل دينه ، وألهمنا معرفته ، وأيدنا بتوفيقه ، وجعل فرجا ومخرجاً مما فيه الزيغ ،وجعلنا ممن يتبع ولا يبتدع . وكان فيما بلغنا، والله أعلم، ممن نثق به : أن جهما ، عدوّ الله ، كان صاحب خصومات وكلام بعمق واتباع لمتشابه القرآن ، وكان أكثر كلامه فى الله عز وجل تبارك وتعالى فبلغنا ، والله أعلم ، أنه لقى شابا بخراسان من الزنادقة ، فقال لجهم نكلمك: فإن ظهرت حجتك دخلنا فى دينك ، فكان مما كلموا به جهما أن قالوا له : ألست تعلم أن لك إلهاً ؟ قال : نعم . قالوا : فهل رأيت إلهك ؟ قال :لا . قالوا : فهل سمعت له كلاماً ؟قال:لا. قالوا له : هل وجدت له رائحة ؟ قال : لا . قالوا : فما يدريك أنه إله ؟ فتحير جهم ، ولم يصلّ أربعين يوماً .

قال : ثم إن جهما استدرك حُجّة مثلَ حجة زنادقة النصارى . وذلك [أن](١) زنادقة النصارى يقولون : إن الروح الذى كان فى عيسى ، هو روح من الله . فإذا أراد أن يفعل شيئاً دخل فى بعض خلقه ، فتكلم على لسانه ، ثم خرج وهو روح غائب عن الأبصار ، لا يرى له وجه : ولا يسمع له حس ولا كلام،ولا يوجد [له](١) رائحة ولا يرى فى الدنيا ولا فى الآخرة . فاستدرك جهم هذه الحجة فقال (للمسى)(٢) : ألست تزعم أن فيك روحاً ؟ قال : نعم . قال :

---

(١) زيادة يستقيم بها التعبير .

(٢) كذا بالأصل .

فهل رأيت روحك ؟ قال : لا . قال : فهل وجدت له حسا ؟ قال : لا . قال : وكذلك الرب ، لا يرى له وجه ، ولا يسمع له كلام : ولا تشم له رائحة ، ولا يرى فى الدنيا ولا فى الآخرة .

ووجد آية فى القرآن تحتمل قياس كلامه ، قوله تعالى : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ)(١) ووضع دين الجهمية واتبعه أناس . فقيل لجهم : هل تجد فى كتاب الله أنه يخبر عن القرآن أنه مخلوق ؟ قال : لا . قيل له : فهل وجدت فى سنة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : إن القرآن مخلوق ؟ قال : لا . قيل له : فمن أين قلته ؟ قال من قول الله : (إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً)(٢) ورغم أن كل مجعول فهو مخلوق قلت [له] : فإن الله لم يعطك الفهم فى القرآن . وجعل فى القرآن من الكلام المتشابه أشياء كثيرة ، تكون اللفظة واحدة ، والمعنى مختلفا ، وقد قال : جعل على معنى خلق ، وقد قال : جعل على غير معنى خلق ، فالذى قال جعل على معنى خلق لا يكون إلا خلقا . ولا يقوم إلا مقام الخلق ولا يزول عنه المعنى .

مما قال الله : جعل على معنى خلق قوله : الْحَمْدُ لله الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ)(٣) يقول خلق الظلمات والنور . قال : (جَعَلَ الليلَ لباسا)(٤) يقول خلق الليل لباسا . قال : (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ)(٥) [وقال] : (وجَعَلَ لكمُ السَّمْعَ والأبصارَ)(٦) . وقال : (خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ

---

(١) من الآية ١١ من سورة الشورى .
(٢) من الآية الثالثة من سورة الزخرف .
(٣) من الآية الأولى من سورة الأنعام .
(٤) من الآية ٤٧ من سورة الفرقان . وفى الأصل : « وجعل .. » تحريف .
(٥) من الآية ١٢ من سورة الإسراء .
(٦) من الآية التاسعة من سورة السجدة .

وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا)(١) يقول وخلق منها زوجها ؛ ومثله فى القرآن كثير . فهذا وما كان على أمثاله لا يكون إلا على معنى خلق .

ثم ذكر : جعل على غير معنى خلق ، قول الله لإبراهيم عليه السلام : (إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا)(٢) لا يعنى أنى خالقك ، لأن الله قد خلقه قبل ذلك . وقال : (مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ)(٣) وقال إبراهيم : (رَبِّ اجْعَلْ هذا الْبَلَدَ آمِنًا)(٤) وقد فرغ الله من خلقه قبل [قول] إبراهيم عليه السلام . وقال إبراهيم : (رَبِّ اجْعَلْنِى مُقِيمَ الصَّلَاةِ)(٤) لا يعنى اخلقنى مقيم الصلاة . وقال الله لأم موسى : (إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ)(٥) لا يعنى خالقوه من المرسلين .

قال : (لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ)(٦) وقال : (لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِى الشَّيْطَانُ فِتْنَةً)(٧) وقال : (لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا)(٨) لا يعنى : لا تخلقوا دعاء الرسول بينكم [وقال] : (وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً

---

(١) من الآية السادسة من سورة الزمر . وفى الأصل : هو الذى خلقكم من نفس واحدة . الخ بزيادة وتحريف .

(٢) من الآية ١٢٤ من سورة البقرة .

(٣) من الآية ١٠٣ من سورة المائدة . وفى الأصل تحريف .

(٤) من الآية ٤٠ من سورة إبراهيم .

(٥) من الآية السابعة من سورة القصص .

(٦) من الآية ١٥٦ من سورة آل عمران .

(٧) من الآية ٥٣ من سورة الحج .

(٨) من الآية ٦٣ من سورة النور .

لأَيْمَانِكُمْ)(١) ومثل هذا فى القرآن كثير فهذا وما كان على أمثاله لا يكون على معنى خلق ، وجعل على غير معنى خلق .

فبأى حجة قال جهم جعل بمعنى خلق ؟ إنما قول الله : (إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً) يقول : جعله جعلا ، على غير معنى خلق ، ووصفة بالعربية . فلما ظهرت الحجة على الجهمى بما ادعى من أمر الله ادعى أمراً آخر فقال : أخبرونا عن القرآن هو الله ، أو غير الله ؟ فلعمرى لقد أرهم الناس بما ادّعى وهى من المغالط(٢) التى يسألون الناس عنها، فإذا سأل الناس الجاهل فقال : أخبرونا عن القرآن هو الله أو غير الله ؟ فلا بد له أن يقول أحد القولين . فإن قال هو الله قالوا له كفرت . وإن قال هو غير الله قالوا صدقت . فلم لا يكون غير الله مخلوق ؟ فيبهت الجاهل عند ذلك فبقى متحيراً .

ولكن الجواب فيه أن الله لم يقل فى القرآن : إن القرآن هُو أنا ، ولم يقل : هو غيرى .

وقال : هو كلامى . فسميناه باسم سماه الله به ، فمن سماه الله بما سماه الله به كان من المهتدين ، ومن سماه باسم من عنده كان من الضالين . فيقول الجهمى : الكلام لم يزل مع الله . وهذا أيضا من مغالطهم حتى يقول الناس هذه المقالة ؟ فيقال لهم : إن الله لم يزل متكلماً فيقول : ألم يكن(٣) الله ولا شىء ؟ فيقال لهم : كان الله بجميع صفـاته كلها ولا شىء مخلوق . فإذا قال الجهمى : من قل الله وكلامه فإنه يقول اثنين . فيقال [له] : كذبت . نحن نقول الله وعلمه وكلامه وقدرته وملكه

---

(١) من الآية ٢٢٤ من سورة البقرة .
(٢) فى الأصل : « المغاليط » والصواب ما أثبتناه .
(٣) فى الأصل : « أليس كان » خطأ نحوى .

وسلطانه وعظمته وجميع صفاته . فإن قلنا ذلك فإنما نصف إلهاً واحداً ، أو يقال للجهمى : تزعم أن الله كان ولا علم حتى أحدث علماً وكان ولا كلام حتى أحدث كلاماً . فتعالى الله سبحانه عن هذه الصفة . بل نقول : لم يزل عالما متكلماً لا متى علم ولا كيف علم .

ثم إن الجهمى ادعى أمراً آخر فقال : أخبرونا هل القرآن شيء (١) قلنا نعم هو شيء . فقال الجهمى : إن الله خالق كل شيء فلم لا يكون مع الأشياء المخلوقة وقد أقررتم أنه شيء ؟ قلنا له : إن الله لم يسم كلامه فى القرآن شيئا ، إنما سمى الشيء للذى كان . ويقال له : ألم تسمع إلى قولنا قوله إنما أمرنا لشيء ؟ فالشيء ليس هو قوله ، إنما الشيء الذى كان . ثم قال أيضا : (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)(٢) ليس هو قوله فالشيء : إنما الشيء الذى كان بأمره .

ومن الأعلام والدلالات على أنه لا يعنى كلامه مع الأشياء المخلوقة قوله لملكة سبأ : (وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) وكان ملك سليمان شيئا ولم تؤته فذلك إذ قال الله كل شيء لا يعنى كلامه مع الأشياء المخلوقة . وقال الله للريح التى أرسلها على عاد : (تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا) وقد أتت تلك الريح على أشياء لم تدمرها منازلهم ومساكنهم والجبال التى بحضرهم وقد أتت عليها تلك الريح فلم تدمرها فذلك قوله فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم وقد قال : (تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا) فذلك إذا قال خالق كل شيء لا يعنى نفسه ولا كلامه ولا علمه مع الأشياء المخلوقة .

---

(١) فى الأصل : « أخبرونا القرآن هو شيء » .

(٢) الآية ٨٢ من سورة يس .

ومن الاعلام والدلالات عن الأشياء المخلوقة قول الله لموسى عليه السلام : (وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي) وقال : (كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ) وقال عيسى : (تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ) وقد قال : (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ) وقد عقل عن الله تعالى أنه لا يسمى نفسه مع الأنفس التي تذوق الموت . وقد ذكر نفسه وكل نفس .

فلذلك إذا قال خالق كل شيء لا يعني نفسه ولا كلامه ولا علمه مع الأشياء المخلوقة ، وقد فصل الله بين قوله وبين خلقه حين قال : (أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ) لم يبق شيء مخلوق إلا كان داخلا فيه ، ثم ذكر ما ليس خلق فقال والأمر هو قول الله فقال الجهمي : إن قول الله : (أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ) واحد . قلنا : إن الله إذا سمى شيئين مختلفين لا يدعهما مرسلين حتى يفصل بينهما بواو وألا تسمع إلى قوله : (عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ) فهذا كله صفة شيء واحد فهو مرسل ليس بمفصل ، فلما ذكر (ثَيِّبَاتٍ) قال : (وَأَبْكَارًا) . فلما كانت البكر سوى الثيب فصل بينهما بواو . ثم قال إن صلاتي ثم قال ونسكي فلما كانت الصلاة سوى النسك فصل بينهما بواو ثم قال : (إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى) فلما كان أسمع سوى أرى فصل بينهما بواو .

ثم قال أيضاً : (لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ) يقول من قبل الخلق ومن بعد الخلق . وكيف يكون كلامه مخلوقاً وهو يقول : (إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) ولم يقل إن هذا إلا خلق مخلوق . وقد سمى قوله قولا ، وسمته الملائكة قولا ، لم يسمه خلقا بقول حتى إذا فرغ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا الحق وذلك أن الملائكة لم يسمعوا صوت الوحي ما بين عيسى ومحمد ، صلى الله عليهما ، وكان بينهما خمسمائة فلما أوحى الله إلى محمد صوت الوحي كوقع الحديد على الصفا ، فظنوا أنه أمر الساعة ففزعوا فخروا لخوفهم ، خروا سجداً . وفي نسخة :

لوجودهم فخروا سجداً فذلك قوله حتى إذا فزع عن قلوبهم يقول حتى إذا أنجلى الفزع عن قلوبهم رفعوا رءوسهم قالت الملائكة بعضها لبعض ماذا قال ربكم ولم تقل ماذا خلق ربكم . ففى هذا بيان لمن أراد الله هداه .

ثم إن الجهمى ادعى أمراً آخر فقال : ما يأتيهم من ربهم محدث وكل محدث مخلوق . فقلنا : أخبرونا أليس عالم بجميع ما فى القرآن فتى أحدثه بعد ما علم وقد أخبر أنه لم يزل عالماً . وإنما معنى قوله : ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث ، إنما هو محدث إلى النبى عليه السلام ، وقد كان قبل ذلك لأن الله يقول : (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِى مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ) فأدراه الله وقد كان لا يدرى ، فالقرآن إنما هو محدث إلى النبى ، وأما عند الله فلا يكون محدثاً ، لأن الله . تبارك وتعالى ، لم يزل بجميع ما فى القرآن عالماً ، لا متى علم ولا كيف علم . ففى هذا بيان لمن أراد الله هداه .

ثم إن الجهمى ادعى أمراً آخر فقال : أنا أجد فى كتاب الله آية تدل على أن كلامه مخلوق ، فقلنا : أى آية فى كتاب الله تدل على أن كلامه مخلوق ؟ قال : قول الله (إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ)(١) فالكلمة التى ألقاها إلى مريم هى من قول الله : كن . فكان عيسى ، وليس عيسى كن ، وهو قوله : ففى هذا بيان لمن أراد الله هداه ، وقد ذكرنا كلامه فى سورة من القرآن قوله : (فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ)(٢) وقوله ، (قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّى لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ

---

(١) من الآية ١٧١ من سورة النساء .

(٢) من الآية ٣٧ من سورة البقرة .

كَلِمات رَبِّى)(١) . وقال الله لنبيه : (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّى رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِى وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِه النَّبِىِّ الأُمِّىِّ الذِى يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ)(٢) فأخبرنا الله أن النبى كان يؤمن بكلام الله . وقد قال الله فى صفة مريم : (وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ)(٣) وقال : (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللهِ)(٤) لم يعنى حتى يسمع خلق الله قال وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ، ثم يحرفونه . وقال : (وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تكليما . وَقَالَ إِنِّى اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاَتِى وبكلامى)(٥) فالكلام غير الرسالة فقد أخبرنا الله بخبر عن كلامه . ففى هذا بيان لمن أراد اللهُ هداه .

ثم إن الجهمى ادعى أمراً آخر فقال أنا (أجداب)(٦) كلام الله مخلوق قلنا أين وجدته ؟ قال : وجدته من قول الله : (خَلَقَ السَّمٰوَاتِ والأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا) ولا يخلو أن يكون فى السموات أو فى الأرض أو فيما بينهما . فلعمرى لقد تكلم بأمر أمكن فيه الدعوى ، خدع به جهال الناس . قلنا : إن الله يقول (وَمَا خَلَقْنَا السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاّ بِالحَقِّ) فالحق الذى خلق به السموات والأرض كان قبل السموات والأرض . وقوله فالحق والحق أقول . وقال : والله

---

(١) من الآية ١٠٩ من سورة الكهف .

(٢) من الآية ١٥٨ من سورة الأعراف . وفى الأصل سقطت كلمة « ورسوله » .

(٣) من الآية ١٢ من سورة التحريم .

(٤) من الآيه السادسة من سورة التوبة .

(٥) من الآية ١٤٤ من سورة الأعراف .

(٦) كذا فى الأصل .

يقول الحق هذا خبر أخبرنا الله به يقول الحق والحق قوله ، وقال : (وَمَا خَلَقْنَا السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالحَقِّ) فالحق الذى خلق به السموات والأرض كان قبل السموات والأرض والحق قوله. قلنا له أخبرونا إذا كان كلامه مخلوقا وهو غير الله ، فمن القائل للملائكة اسجدوا لآدم ؟ ومن أمر الخلائق بالركوع والسجود ؟ ومن أخبر من رضى الله عنه أنه قد رضى عنه ، ومن المخبر عن من غضب الله عليه أنه قد غضب عليه ؟ فإن كان هذا الذى يخبر عنه غيره .

وقد قال :(عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ)(١) وقال :(وما تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلاَ تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ)(٢) وكيف يكون غير الله مخلوق محدث يحكى ما قبله وبعده ، وهو يقول : (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ) ويحكى عن الأمم فإن كان محدثا مخلوقاً كيف علم الخبر من قبله أو بعده ؟ فإن كان خلقاً قبل الحكايات فكيف يعلم ما بعدها ما لم يطلع عليه بعده ؟ وقال : (بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ) (٣) فاللوح مخلوق فلما كان الكلام الذى خلق به اللوح كان قبل اللوح ، فمن القائل للملائكة اسجدوا لآدم ؟ الله يقوله الذى هو ؟ أم قوله المخلوق فهو القائل للملائكة اسجدوا ؟ فقال : لا يظهر على غيبه أحداً ، أو متى خلق قبل أن يحكى للملائكة أو بعد ويخلق كل ساعة إذا أراد أن يحكى عنه أو يوحى الكلام المخلوق ، والذى يزعم مخلوق لمن خلق .

---

(١) من الآية ٣٤ من سورة لقمان .

(٢) من الآية ١١ من سورة فاطر .

(٣) من الآية ٢١ من سورة البروج . وجاءت فى الأصل محرفة .

الباب التاسع

فى اللوح المحفوظ

فصل

فى أن كلام الله قبل اللوح وقبل القلم

وأما احتجاجهم باللوح المحفوظ وقلتم ما كان فى اللوح المحفوظ ، فهو مخلوق ، وتأولتم قول الله . (بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ)(١) وقد اخطأتم التاويل لأن كلام الله قبل اللوح ، وقبل القلم ، وقبل الرسم فى اللوح المحفوظ ، أو فيا احتججتم فى اللوح حجة عليكم وذلك أنكم قلتم أول ما خلق الله القلم والدواة واللوح فقال للقلم : اكتب فقال القلم وما أكتب قال أكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة ألا ترون أن قوله أكتب قبل الكتابة وهو أمره ثم زعمتم أن القلم تكلم فإن كان ما قلتم فقد تكلم القلم بغير لسان ولا جوف ولا شفتين فلما قال وما أكتب كان أمر آخر فقال — أكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة فهذا قبل الكتابة وهو كلامه وأمره وأن لكم فى المصاحف كفاية عن اللوح المحفوظ قائماً .

إن القرآن مكتوب فى المصاحف يرى إذا كتب ، ويسمع إذا قرئ ، فأخبرونا هل يجوز لقاء [أن] يقول لم يزل الأمر لله ، ولا يزال الأمر لله ، أو يقول : لله الأمر قبل أن يخلق الخلق ، ولله الأمر بعد فناء الخلق . فإن قلتم لا ، فقد زعمتم أن الله لم يكن له الأمر حتى خلق الخلق ، ولا يكون له الأمر بعد فناء الخلق ، فإن قلتم يجوز لقائل يقول لله الأمر قبل أن يخلق الخلق ، وبعد فناء الخلق ، فقد فصلتم بين الأمر والخلق ، لأن الأمر كلامه : والخلق خلقه . قال الله تبارك وتعالى (أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ)(١) فلما قال الإله الخلق كان جميع الخلق داخلا

---

(١) انظر ص ١٧٢ .

فى معنى الخلق . ثم قال : والأمر ، ففصل بينهما لأن الأمر كلامه . وقال: (وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا)(١) وأما احتجاجهم بقوله خلق السموات والأرض وما بينهما فقلتم : إن كل شىء بين السماء والأرض مخلوق والقرآن بين السماء والأرض وقد قال تبارك وتعالى: (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ)(٢) فالحق الذى خلق به السموات والأرض وما بينهما ، غير الخلق الذى بين السماء والأرض. وكان قبل السماء ، ويكون بعد السماء والأرض ، وهو كلامه وهو خارج من الأشياء .

ومما يدل على أن الحق كلامه قول الله ، والله يقول الحق ، فالحق والحق أقول فالحق كلامه ، وبكلامه كانت السموات والأرض وجميع الأشياء ، ولو كان على ما قلتم لكان ولقد خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا والحق . فلما قال بالحق عرفنا أنه خلقها بأمره . وأمره كلامه . وقال : (وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ(٣) فالأيام الستة التى كـون فيها السموات والأرض كانت قبل السماء والأرض أما سمعتم للسماء والأرض (ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ) وإنما أجابت بعد ما أمرت .

وقال الشاعر فى الكلام، وبلغنا أنه أبو بكر الصديق رضى الله عنه يرثى النبى صلى الله عليه وآله وسلم شعراً .

فقدنا الوحى إذ وليت عنا ووَدَّعنا من الله الكلامُ
سوى ما قد تركت لنا رهينا تضمنه القراطيس الكلام

---

(١) من الآية ١٢ من سورة سبأ .
(٢) من الآية ٨٥ من سورة الحجر .
(٣) من الآية ٣٨ من سورة ق .

ولو كان معنى الكلام معنى الخلق لم يقل وودعنا من الله الكلام سوى ما قد تركت لنا ، لأن الله خلق بعد وفاة النبي ، صلى الله عليه وسلم ، خلقا كثيراً ، وهو أيضاً حجة على من زعم أن ما فى المصاحف ليس بقرآن . ألا تسمع قوله :

سوى ما قد تركت لنا رهينا تواريه القراطيس الكرام

فأخبر – أن القرآن فى القراطيس .

بسم الله الرحمن الرحيم . عن أبى سعيد سألت رحمك الله عن أبى سعيد سألت رحمك الله عن رجل خطر بباله أسماء الله من ذاته وصفاته أهى مخلوقة ؟ هل يسع جهل علم ذلك إذا دان لله أن لله الأسماء الحسنى ؟ قلت : ما قول أصحابنا أهى مخلوقة أم لا يقولون فيها شيئا ؟ قلت : وكذلك إن خطر بباله القرآن مخلوق هو أو غير مخلوق ؟ هل يكون القول فيه مثل الأسماء ؟ قلت فإن قال : فى الأسماء إنها مخلوقة وكذلك القرآن ، هل يلحقه معنى شرك أم كفر أم يسعه ذلك ؟ ومن قال : إن القرآن مخلوق وكانت له ولاية هل يكون على ولاية ؟ قلت : وهل قيل برأ منه بذلك وكذلك إن قال أسماء الله مخلوقة هل يكون ذلك ؟ وإن كان قيل بالبراءة ممن قال بذلك فما تكون براءته برأى أو بدين ؟

فأما قولك فى أسماء الله، تبارك وتعالى، أهى مخلوقة أم غير مخلوقة؟ فقد قيل : إن أسماءه المسمى بها ، من الألفاظ الملفوظة والحروف الملحوظة المسموعة ، التى سمى بها نفسه فى كتبه ووحيه ، وسماه بها أحد من خلقه ، فلا يخرج معنى ذلك فلا يستقيم إلا أن تكون محدثة ، وكذلك معنى أنه قد قيل : وأما ما سبق من ذلك فى مكنون علمه الذى لم يزل عالما بها ، فلا يقال إن علمه محدث ، تبارك وتعالى ، ولا مخلوق

ولا يجوز أن يكون هو أسماؤه ، ولا يكون ما سواه إلا وهو محدث ، فهذا هو وجه هذا عندى ، فإذا خطر بباله هذه الأسماء التى وصفت وذكرت وكتبت ، وانتقل ذكرها من حال إلى حال فذلك محدث مخلوق .

وإذا عرف معنى ذلك فعليه أن يعلم أنه ما سوى الله ، تبارك وتعالى ، فهو مخلوق فإذا لم يعرف معنى ذلك ولا المراد به من خاطر ذلك أو ذكره ، وعلم أن الله تبارك وتعالى قديم ، وما سواه محدث من جميع الأشياء ، وأنه لا يشبه بشىء فى جميع الأشياء ، من ذاته ولا صفاته ولا أسمائه ولا حكمه ولا قضائه ، وسعه ذلك عندى ، إن شاء الله ، وعلى هذا يخرج عندى فى قول أصحابنا فى هذا وكذلك عندى هذا القول فى القرآن ، وفى تنزيله وكتابه وأحداثه من هذه الألفاظ ، الملفوظة ، والحروف المكتوبة المسموعة المنظورة ، فهى محدثة مخلوقة ، وأما ما سبق من علم الله به فلا يقال إن علم الله ، تبارك وتعالى ، محدث من بعد أن لم يكن ، ولا يجوز هذا ونحوه عليه تبارك وتعالى .

ومن شك فى ذلك لعله فى ذلك فيما لا يسعه جهله على ما وصفت ولك مما يخرج تنزيلا قد بلغه علمه فيخرج عندى حدثه فى ذلك معنى الشرك وإن كان متأولا فى شكه وفى قوله ، بمثل ذلك ، لم يلحقه الشرك . وإن كان شكه فى مثل ذلك ، وقوله وتأوله فيما لا يسعه ، كان كفره فى ذلك كفر نعمة لا كفر شرك .

ومعى أنه قيل فيمن قال بخلق القرآن أنه قال : من قال بالبراءة منه ، وقيل بالوقوف عنه ، وقيل بولايته على ما يوجد فى معانى أصحابنا . وكذلك يخرج عندى فى القول فى أسماء الله تعالى ، إذا ثبت معنى الاختلاف فى حكم التسمية على غير تفسير لا يسع ولا يخرج عندى إلا من طريق الرأى ، وأما إذا كان ذلك على مخصوص ما لا يسع ،

ولا يحتمل فيه للتمائل مخرج من مخارج الحق ، فلا يجوز فى ذلك الولاية ، ولا الوقوف بعد علم حدثه ، فيما لا يسع جهله '، أو تزول بليته فيما لا يسع جهله فإذا جاهد السبر ، عندى أنه أراد لتفسير الذى وصفته لك ، أنه لا يجوز من القول به فى خلق القرآن ، ولا فى أسماء الله ، تبارك وتعالى وجب فى ذلك الحكم بالبراءة بالاتفاق لا بالاختلاف . وإذا ثبت ذلك على وجه ما يجوز من التسمية فى ذلك عندى براءة ولا وقوف ، ووجبت الولاية فيه بالاتفاق ، فافهم ذلك وتدبر ما وصفت لك ، ولا تأخذ من قولى إلا بما وافق الحق والصواب .

ومن غيره أحسب من كتب المغاربة :

بسم الله الرحمن الرحيم

بالله عصمتنا وما توفيقنا وإياكم إلا بالله . اختلف أهل هذه الدعوة المباركة فى أمر لم يكن لهم الاختلاف فيه ، لأن الذى دانوا به كله واحد ، هو الإمام واللغة معروفة اختلفوا فى صفات الله ، تبارك وتعالى ، فقال قوم : صفاته محدثة مخلوقة وقال آخرون : بل لم يزل الله وله الأسماء الحسنى ، ولم يعدوا ما اختلفوا فيه من أن ينفصل الحق من الباطل ، عند تقلب الأمور وموازنة بعضها ببعض . يقال لمن يزعم أن صفات الله محدثة مخلوقة . أخبرونا عن الصفة ما هى ؟ فإن قالوا هى الكلام الذى يتكلم الناس من قولهم : الله والسميع والبصير وجميع الأسماء قيل لهم : إن الكلام لم يختلف فيه أحد أنه محدث مخلوق . وأنه فعل للعباد .

وإن كان معناه : إن الصفة هى الكلام ، فإن الكلام فعل ، والعباد يعقلون اسم الله فى كل أحوالهم ، وفى قود هذا القول أنه لا يجوز لأحد أن يقول إن الله لم يزل الله ولا عليم ولا سميع ولا بصير ولا جميع صفاته ، لأن الصفات فى قولك هى الفعل ، والفعل محدث ، والفاعل أقدم من فعله ، فقد كان الخلق ، ولا صفة لله إذ وصفته لعله أراد

وصفته هى أنا عليهم فى ذلك ، فإن قال قائل : اسمه غير فعل ، فيقال له ، وما دليلك على أن ثم أسماء غير ما سمع من قول القائل : الله والعليم والرحمن . وصفاته إنه لم يزل فإنه لا يجد دليلا حتى يرجع ، فيقول لم يزل الله وهو الله العليم الرحمن السميع وجميع صفاته . ويقال فى قول ذلك إن صفاته غير أنه لم يزل ومعه غيره لأنك زعمت أن الله لم يزل وهو الله السميع العليم الرحمن وجميـــع صفاته ، وصفاته عندك غيره .

فليس يجوز لك أن تقول : لم يزل الله هو الله السميع العليم وجميع صفاته ، إذ زعمت أنها غيره ، لأن أصل ما أجمع عليه أهل الصلاة أن الله قديم ، وأن ما سواه محدث ، فتفهموا ما وصفت تجدوه بينا سهلا .

اعلموا أن العرب تقول فى كلامها : لفلان عم يخبرون عن شيء غيره ، ويقولون لفلان ولد يعنون غيره ، وأشباه ما يملكه الناس ، ويقولون : لفلان رجل ، وله يد ، وله رأس ، وله ظهر ، وله، وجه وجميع أجزائه .

وإنما يعنون بقولهم بعض أجزائه وهو الأجزاء كلها ، وليس أن يده غيره ورجله غيره ، وجميع الأجزاء إنما يعنون إذا قالوا : له يد ، يعنون بعضه ، ولا يعنون غيره ، مثل قولهم : له مال . فإن كانت هذه الأجزاء غيره ، فمن هو الذى غير الأجزاء ؟ وقد قال الله : (لَهُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ) وقال :(أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ.تبارك،لأن فى الثلاثة المواضع بيَّن الله . وأشباه هذا فى القرآن فما أضافه إلى نفسه من خَلْقِه وهو غيره . قال الله : (لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) يعنى أنه الله ،

وأنه السميع وأنه العليم ، وجميع صفاته . لا أن الله غيره ، ولا أن السميع غيره ، ولا أن الخالق غيره . وجميع صفاته .

وكان وجه ما أضيف إلى الإنسان من قول القائل : له مال . يعنى أنه ملكه عن غيره يعطيه من غيره ملكه إياها وكان وجه ما أضيف إلى الإنسان من قول القائل : له وجه ، وله روح ، وله يد ، وله رجل ، يعنى أنه هذه الأجزاء إلا أن لا أن هو غير الأجزاء وكان وجه ما أضيف إلى الله من قول القائل له ما فى السموات وما فى الأرض له الخلق والأمر يعنى أنه أنشأه وأحدثه بعد أن لم يكن ، وأمسكه من أن يزول وزاد فيه ونقص منه ، ويفنيه إذا شاء فأشبه قول القائل للإنسان مال والله الخالق عندى أنه أراد ولله الخلق واختلفت وجوه المعانى فليس يجرى على الخلق معانى الله ولا يجرى على الله معانى الخلق وقال الله له الأسماء الحسنى يعنى أنه هو الله السميع العليم الرحمن الرحيم الواحد القهار وجميع صفاته فأشبه قول القائل للإنسان يد وله رجل وله روح وجميع الأجزاء ولله الأسماء الحسنى واختلف وجوه معانيها لأن الذى أضيف للإنسان من ذلك إنما هو بالأجزاء المتفرقة والذى أضيف إلى الله أنه هو لا بالأجزاء مخلوقة عاجزة ذليلة مقهورة فنفينا عن الله معانى الخلق وما يجرى عليهم ونفينا عن الخلق معانى الله وما يجرى عليه وأبقينا ما أخبر عن نفسه من أنه ليس كمثله شىء ، وأنه لم يلد ، وأن الولد مشبه بالوالد ، فنفى عن نفسه الشبهة ، ولم يولد لأن المولود محدث ، والمحدث مقهور عاجز ذليل مع الولد يشبه بالوالد ولم يكن له كفوا أحد ، لأن الأكفاء متضادين بعضهم يكافئ بعضا ، فنفى عن نفسه الأكفاء لأن المكافى لكفوه ذليلان مقهوران لأن لهما قاهراً قهرهما على مضادتهما ومذللاتهما حتى تكافيا . فنفينا عن الله الأمثال والأشباه والأضداد ، بما يكون فيه بيان لذى حجى ولا قوة إلا بالله . اعلموا أن القوم مع ما قالوا : إن الأسماء محدثة فرقوا بين

أسمائه ، فزعموا أن بعضها لم يزل وهى له وبعضها محدثة وذلك أنهم لم يجدوا بدا من أن يقولوا : إن الله لم يزل وهو السميع العليم البصير القاهر الأول الحافظ الشاهد . فلما لم يجدوا بدا من ذلك قالوا : إن هذه أسماء ذاتية فيقال لهم وما تعنون بقولكم أسماء ذاتية؟يعنون أنه لم يزل هو نفسه الله هو نفسه السميع العليم القاهر القادر الحافظ الشاهد ، فإن قالوا : نعم قيل لهم : قد صدقتم والحق قلتم وإن كنتم تعنون السميع الله القادر القاهر الأول الحافظ الشاهد هى أسماء للمعنى بها ، وأنها لم تزل معه ، فقد أثبتم أن معه خلقا محدثا لم يزل ، وقد افتريتم إثما عظيماً وقلتم بما تقول خرجتم به من موافقة أهل الصلاة ، فأنهم يقولون : إنما أثبتنا له اسم العليم ، نفينا بذلك عنه الجهل وقلنا له السميع نفينا عنه الصمم ، وقلنا له البصير نفينا عنه العمى ، وقادر نفينا عنه العجز ، وقاهر نفينا عنه الاستكراه ، وحافظ نفينا عنه النسيان . وشاهد نفينا عنه الغفلة ، فتفهموا قلة معرفتهم بالحجج ودخولهم فيما هو عليهم لا لهم . يقال لهم حد لونا عن قولكم نفينا عنه الجهل هل ينفى عنه الجهل إلا العلم ، وقولنا نفينا عنه الصمم فهل ينفى الصمم إلا السمع ؟ وقولكم نفينا عنه العمى فهل ينفى العمى إلا البصر ؟ وقولكم نفينا عنه العجز وهل ينفى العجز إلا القوة؟ وقولكم نفينا عنه الاستكراه وهل ينفى الاستكراه إلا المقدرة؟ وقولكم نفينا عنه النسيان وهل ينفى النسيان إلا الحفظ ؟ وقولكم نفينا عنه الغفلة وهل ينفى الغفلة إلا التذكرة ؟ فى قود قولكم ونفيكم ما ذكرتم إثبات أضداد ما نفيتم ، ونحن نسألكم عن هذه الأضداد التى أثبتموها هى الله نفسه أم هى غيره؟ فإن زعمتم أنها هى الله نفسه فقد دخلتم فى أشنع ما أنكرتموه على من خالفكم إذ وصفتم أن الله سميع وعليم وأنه بصير وأنه قدير وأنه حفيظ . والله لم يصف نفسه بشى مما وصفتموه إنما قال : (هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ الْبَصِيرُ) وجميع ما وصف به نفسه ، فمن وصفه بغير ما وصف به نفسه فقد افترى إثماً عظيما ، وضل ضلالا بعيداً . وإن قلتم هذه الأضداد غيره فقد أثبتم معه غيره ، وجعلتموه ذا أجزاء كالخلق ، فتعالى الله علوا كبيراً . فتفهموا ما وصفنا وتبتوه فإن فيه الشفاء لمن يريد الله

وما عنده اعلموا أن قوله نفينا عنه الجهل لا يكون الجهل ضد عالم وإنما الجهل ضد العلم ، والجاهل ضد العالم ، والصمم ضده السمع لا يكون الصمم ضد السميع والعمى ضده البصر لا يكون العمى ضد البصير فتفهموا الأضداد ومجارها وما ينفى بعضها من بعض تعلموا أن القوم ليسوا على صراط مستقيم وأنهم فى واد يعمهون ، لو كان أصلهم الذى بنوا عليه ثابتاً لكانت فروعه ثابتة ، ولكن فسد الأصل ففسد الفرع . ويقال لهم : أخبرونا عما فرقتم بين أسمائه فقلتم العليم لم يزل ، وهذا من أسماء ذاته ، والغفور من أسماء فعله والخالق والرازق هذه عندهم من أسماء فعله وقالوا : ألا يجوز أن يقال أن الله لم يزل خالقاً ولا غفوراً ولا رحيما ولا رازقاً ؟ لأن هذه عندهم إنما أضيفت إليه بفعله ، فتفهموا الحجة عليهم فيقال لهم أليس الغفور هو العليم لأنهما عندكم اسمان وأحدهما قديم والآخر محدث ، فلا يكون القديم هو المحدث ولا المحدث هو القديم ، وفى قود هذا القول أن الله هو غير الغفور ، وأن الغفور هو غير الله . والله عندهم اسم لم يزل فتفهموا ما وصفنا تعلموا أن من قال أن الله غير الغفور وأن الله ليس هو الغفور أنه قد افترى إثماً عظيما . اعلموا أنه إنما اشتبه عليهم الأمر من قبل قلة معرفتهم وتعميهم فى كل ما يخطر ببالهم ، فإذا عرض لهم شىء دانوا به وقالوا به ولم ينظروا أن يسألوا وأن يبتوا . اعلموا أن كل ما وصف الله نفسه من هذه الصفات فى القرآن فإنما يخبر أنه هو الخالق وأنه هو الرازق وأنه هو العالم وأنه هو السميع . وأنه هو القادر وجميع ما وصف به هو كما وصف ، لم يزل كما وصف نفسه لا أن ما وصف به نفسه غيره ، وقد بينا ذلك فى صدر كتابنا فتفهموا وائتموا به ، وكونوا من أمركم على بيان وأعلموا أنهم يحجون فى بعض حججهم أن يقولوا فلم يزل الله يخلق ويرزق ويغفر ويرحم وأشباه ذلك ، فتفهموا قلة معرفتهم بالحجج ودخولهم فيما عليهم لا لهم . اعلموا أن الله وصف

نفسه يعلم ويسمع ويبصر وأشباه ذلك ويوصف نفسه يخلق ويرزق ويغفر ويرحم وأشباه ذلك . اعلموا أن قوله يعلم يخبر عن نفسه أنه العليم بالأشياء قبل أن تكون،وليس فى يعلم خبر عن سواه، وإنما أخبر عن نفسه أنه العليم وسميع يعنى أنه السميع الذى لا يخفى عليه الخلق وأنه المحيط بهم قبل أن يخلقهم . وكذلك فى يبصر ويقدر ويحصى ويحفظ وأشباه ذلك وفى قوله يخلق يخبر عن نفسه أنه الخالق ويخبر أن[ ](١) فلم يجز لقائل أن يقول إن الله لم يزل يخلق لأن فى قوله يخلق خبراً عن الخالق والخلق،ويرزق ويغفر ويرحم مثل ذلك،وليس فى قول القائل الخالق خبر عن غير الخالق ولا الرازق خبر عن غير الرازق وإنما قوله الخالق صفة الله بأنه هو الخالق لا غيره الخالق والرازق لا غيره الرازق ، فتفهموا ما وصفنا تجدوه بيناً سهلا ولا قوة إلا بالله غفر الله لنا وإياكم بالتقوى .

[ ] مسألة : ومن غيره . وبلغنا عن أبى عبد الله ، رحمه الله ، أنه قال من قال أن القرآن مخلوق ، وقد تقدمت له ولاية أنه لا تنقطع ما لم يبرأ ممن لا يقول أن القرآن مخلوق فإذا برئ ممن لا يقول أن القرآن مخلوق برأى برئنا منه بدين . وهذا القول كان منه بعد أن قدم من صحار .

مسألة قال عمر بن سعيد بن محرز أن أبا عبد الله محمد بن محبوب أملى عليه هذا الكلام من نفسه قال لا يقال إن أسماء الله محدثة ولكنها لم تزل له . ولا يقال إنها هو ولا هى غيره ولا شىء منه لأنه غير محدود ولا مبعض تبارك وتعالى . ونقول القرآن كلام الله ولا نقول إنه هو ولا شىء منه ولا مخلوق ، ولكنه وحيه وكتابه وتنزيله على نبيه محمد ، صلى الله عليه وسلم ، والقرآن هو من علم الله وعلمه لم يزل وهو غير محدث. وحفظ يعقوب بن اسحاق اللواى عن محمد بن محبوب قال ، لا نقول إن القرآن مخلوق ولا نقول أن القرآن غير مخلوق ولا نقول إن القرآن هو الله ، ولا نقول أن القرآن غير الله،ونقول هو كلام الله . وحفظ مهنا بن يحيى عن محمد بن محبوب أنه قال أن الله لم يزل متكلما . وحفظ

---

(١) بياض بالأصل .

يعقوب بن سحاق عن محمد بن محبوب ،وقد سأله ، فقال: من حد صفات الله فقد حد الله ، فقال أبو عبد الله نعم . قال مهنا بن يحيى عن أبي مروان سليان بن الحكم عن أبي زياد الوضاح بن عقبة وعن هاشم بن يوسف وعن معلا بن منير ،أنه سألهم عن القرآن فقالوا : ألا نقول أن القرآن مخلوق ونقول هو كلام الله، ونقف عمن يقول إن القرآن مخلوق وقوف .

مسألة : قال محمد بن محبوب : فمن قال القرآن مخلوق وقد تقدمت له ولاية أنه لا تقطع ما لم يبرأ ممن لا يقول أن القرآن مخلوق ، فإذا برئ ممن لا يقول أن القرآن مخلوق برئنا منه بدين ، وهذا القول كان منه من بعد أن قدم صحار ، إلا أنه إذا قال أن القرآن مخلوق ولم يبرأ ممن لم يقل بقوله فإنه قال بجفا أو قال يظهر إليه الجفا أن هذا مما يسع جهله أو قال عدو للمسلمين حفظ محمد بن هاشم عن عبد الله بن ربيعة وقال هذا مما يسع جهله .

مسألة وسألت عن قول من يقول : إن القرآن مخلوق ، فإن كان مخلوقاً ، فلا بد له من فناء ، فعلى هذا سيموت القرآن . فالله خالق كل شيء : السموات والأرض والجبال والرياح والشمس والقمر ، كل هذا ونحوه من خلقه ، وهو يزول ، ولا يموت كموت ذوى الأرواح . إلا أن الجواب فيمن يقول : إن القرآن مخلوق . إن القرآن كلام الله ووحيه وأدبه .

مسألة : وعن أبي معاوية : وأما ما سألت عنه من القرآن فإنا سمعنا أشياخنا يقولون – وقولنا تبع لقولهم – إن القرآن كلام الله ومأدبة الله ونوره وبيانه . ويقولون : إن الله خالق كل شيء ، وما سواه مخلوق . وقد [كان](١) هذا في عصر قد مضى ، وتكلم فيه أقوام وقالوا فيه : إن القرآن مخلوق ، فرفع ذلك إلى مشايخ المسلمين ، فكان قولهم ما وصفت

(١) زيادة يستقيم بها السياق .

لك : فلم يبلغ بأولئك عندهم براءة ولا وقوف ، وكانوا عندهم على حالتهم الأولى . ونحن نكره انتشار هذا ، مخافة الفرقة ، وضيق صدور المسلمين عن ذلك . وبالله التوفيق وفقنا الله وإياك : والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

مسألة قلت لأبي مروان ، أخبرنا أن موسى بن على كان يقول بالخلق ، فقال أبو مروان : كذب من روى هذا على موسى بن على : [بل موسى يقول : القرآن كلام الله ، ولا يقول القرآن مخلوق] :

مسألة ــ أحسب عن أبي عبد الله ــ وسألت عن القدر أهو مما يسع جهله أم لا؟ فأقول : أنه مما يسع جهله حتى يركب الجاهل به شيئا منه بقوله بالقدر ، مما يوجب على من ارتكبه الكفر ، فإذا فعل ذلك لم يسعه جهله . وإذا سمع من يقول : إن الله لم يخلق أفعال العباد ، ومن يقول : إن [الله لم يقدر على العباد ما عملوا ، فلا يسعه ولاية من يسمعه يقول] هذه المقالة .

مسألة : وعن قول الله : (وَكَلَّمَ اللهُ موسَى تَكْلِيمًا) ، ما قول المسلمين فى ذلك ، وقولهم : إن الله لم يكلم موسى بكلام المخلوقين ولا يشبه بشىء من خلقه ، ولا يقال كلمه بلسان : ولكنه كلمه كما قال كيف شاء ، وقد قيل إنه أسمعه صوتا أفهمه به الكلام .